

الإمام
الدكتور عبد الحليم محمود



العارف بالله
أبو الأئمة السبعة



دار المعارف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

صديق الله العظيم

[يونس : الآية ٦٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العلاقة بين الصوفية والسلفية

إذا أردنا تعريفاً دقيقاً للسلفية لا ينكره شخص من الأشخاص
فيمكننا أن نقول :

إنها حب الله ، واتباع رسول الله ﷺ فيما أمر ، وفيما نهى ،
والحب والاتباع مرتبطان ارتباطاً وثيقاً .
فمن أحب الله ورسوله اتبع التوجيهات الإلهية التي تنزلت على
لسان الرسول ﷺ .

ولهذا الارتباط يقول القرآن الكريم : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (١) .

وإذا نظرنا إلى السلف وجدنا الصحابة يتوافر فيهم حب الله
ورسوله ، ويتوافر الاتباع .

وإذا نظرنا إلى الصوفية ابتداءً من الإمام الكبير الفضيل بن عياض
أو الإمام الكبير إبراهيم بن أدهم فإننا نجد أنه يتوافر فيهم « الحب »
« والاتباع » .

أما فيما يتعلق بالاتباع فإن الفضيل بن عياض درس السنة دراسة
دقيقة - وكان من كبار المحدثين : ثقة ، حافظاً ، ثبتاً ؛ يثق فيه

(١) آل عمران : ٣١ .

كل هؤلاء الذين كتبوا الحديث من أمثال الإمام البخارى ، والإمام مسلم وغيرهما من المحدثين - وكان فى سلوكه صورة تحاول - ما استطاعت إلى ذلك سبيلا - أن تحاكي ، وأن تتابع ، وأن تناسى ، وتقنذى برسول الله ﷺ ، وما عرفته الدنيا فى يوم من الأيام ، متهالكا عليها ، وما جرى وراء مادة - وإنما شغلته العبادة والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، ونشر العلم الموضح عن أمور الدنيا والآخرة . وكان الجميع يحترمونه ، وكان ناصحا للأمراء ، والوزراء ، والملوك ، وكانوا يذهبون إلى بيته المتواضع ولا يذهب هو لأحد منهم . كذلك كان الأمر فيما يتعلق بالإمام الكبير إبراهيم بن أدهم ، وسواء أكنّا بصدد هذا أو ذاك فإنهما يتفقان على الخطوة الأولى عند الصوفية جميعا ، إنها الانتفاضة الصادقة العازمة التى اتجهت بهما إلى الثوبة الصادقة التى تحت كل ما يمكن أن يكون من شهوات النفس ، وأهواء الشعور ، وبهذه الانتفاضة يتنقل الإنسان فى لحظة إلى القصد العازم فى الاتجاه إلى الله سبحانه وتعالى ، والفضيل بن عياض ، وإبراهيم بن أدهم ، هما من الأئمة الأول للتصوف .

وعلى نسقهما ونسق من شابههما من الأئمة الأول سار الصوفية الذين أتوا من بعد ، وهؤلاء الصوفية الذين أتوا من بعد كانوا - مثل جميع الصوفية - يمتازون بأمرين متلازمين فيهما .

أحدهما : العبادة : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ، وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١) .

(١) الذاريات : ١٧ ، ١٨ .

وكانوا : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ (١)

أما الأمر الثاني : ففهر العلم ، وإذا نظرنا إلى كتاب من كتب طبقات الصوفية مثل كتاب « السلمى » ، الذى وصل بالتأريخ بالصوفية إلى نهاية القرن الرابع الهجرى تقريباً ، فإننا نجد جميع من ذكرهم يتسمون بهاتين السمتين « العبادة » ، و« العلم » بعضهم كان من كبار المفكرين أمثال « سهل بن عبد الله التستري » ، وبعضهم كان من العلماء الذين يجمعون بين التفسير والحديث والعربية ، أمثال الجنيد ، ولكنهم جميعاً كانوا يمتازون بصفتين « العلم » ، و« العبادة » .

وما كان يحملهم على العبادة إلا الحب .

وما كان يحملهم على « العلم » إلا الحب .

الحب لرسول الله ﷺ ، ونشر أثره ﷺ .

فالإمام « الجنيد » .

مثلاً كان يحضر درسه اللغويون من أجل اللغة .

والأدباء : من أجل الأسلوب .

والفقهاء من أجل الفقه .

والمتكلمون من أجل مسائل علم الكلام .

والحكماء : من أجل الدقة فى تحرير المسائل .

وكل هؤلاء كانوا من العلماء ، وكل منهم كان يستفيد من درسه
فى موضوع تخصصه ، وحين يتحدثون عن دروس « الجيد » .
يقولون كان يحضر درسه ثلاث مائة محبرة ، وذلك أن جميع
من كانوا يحضرون درسه ، كانوا يكتبون ما يسمعون مما يتعلق
بانجاهاتهم .

وانه ليسرنا فى هذا المجال أن نذكر أيضًا الحارث بن الأسد
الحاسبى ، صاحب كتاب « الرعاية لحقرق الله » .

لقد كان شعاره « العلم » ، « والعبادة » ونزل إلى ميدان المجتمع
فى قوة مبنية ، وموضحًا ، وناقداً ، ومهاجماً ، واقفاً كالطود الراسخ
فى وجه كل بدعة ، وفى كل انحراف يكتبه الكثيرة ورسائله المتعددة ،
وكان شعاره دائماً « حب الله ورسوله ، واتباع الله ورسوله » .

أما فيما يتعلق بالصلة بين الصوفية ، وأهل السنة والجماعة ،
فإن صاحب كتاب « التبصير فى الدين » وهو الإمام الإسفرايينى ،
الإمام الكامل ، والفقيه الأصولى المفسر ، وهو معنى أشد عناية بالرد
على كل من يخالف مذهب أهل السنة ، يذكر فى كتابه ما يمتاز
به أهل السنة عن غيرهم من الخوارج ، والروافض ، والقدرية ،
فيذكر أن سادس ما امتاز به أهل السنة هو : « علم التصوف »
والإشارات ، وما لهم فيها من الدقائق والحقائق .

لم يكن قط لأحد من أهل البدعة فيه حظ بل كانوا محرومين
مما فيه من الراحة ، والحلاوة ، والسكينة والطمأنينة ، ويستمر الإمام
الإسفرايينى ، وهو من قمم أهل السنة فيقول :

وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في مشايخ الصوفية قريباً من ألف وجمع إشاراتهم ، وأحاديثهم ، ولم يوجد في جملتهم قط من ينسب إلى شيء من بدع القدرية ، والروافض ، والخوارج . ثم يقول هذه الكلمات الدقيقة الموزونة :

وكيف يتصور فيهم من هؤلاء ، وكلامهم يدور على التسليم ، والتفويض والتبري من النفس والتوحيد بالخلق والمشيئة .

وأهل البدع ينسبون الفعل والمشيئة والخلق ، والقدر إلى أنفسهم ، وذلك بمعزل عما في الدين ، وهو من رؤساء أهل السنة ، لا يخالف في ذلك مخالف من المؤرخين للفكر الإسلامي .

إلى أي حد يبلغ حرص الصوفية على الاتباع ؟ وما هي آثارهم في ذلك ؟ .

يقول أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه :
« من دعا إلى الله تعالى بغير ما دعا به رسول الله ﷺ فهو بدعي » .
ويقول أيضاً : « إذا لم يواظب الصوفي على حضور الصلوات الخمس في الجماعة فلا تبعاً به » .

ومن أجمل كلماته قوله : « ما ثمَّ كرامة أعظم من كرامة الإيمان ومتابعة السنة » .

أما أبو يزيد البسطامي فإنه يقول في قوة حازمة ، ومنطق صادق :
« لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرقى في الهواء فلا تغفروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ، وحفظ الحدود ، وأداء الشريعة » .

والإمام « الجنيّد » يقول : « الطرق كلّها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ واتبع سنته ، ولزم طريقته » .
وكان « الجنيّد » لا يملّ الحديث عن « الحب » و « الاتباع » ،
وكان يقول : « مَنْ لم يحفظ القرآن ، ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر - أي أمر التصوف - لأن علمنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة »

ومما يفضل الناس عنه ، ولا يتحدثون به ، لأنهم يجهلونه ، أن الإمام ابن تيمية يقدر تقديرًا عظيمًا الإمام عبد القادر الجيلاني ، ويتحدث عنه باحترام بالغ في رسالة « العبودية » وكلما ذكره يقول : « قدس الله سرّه » ولالإمام « عبد القادر الجيلاني كتاب عميق في التصوف اسمه « فتوح الغيب » وهذا الكتاب مطبوع ومتداول ، ويخصص الإمام ابن تيمية ما يقرب من مائة صحيفة لشرح بعض فقرات هذا الكتاب والإشادة بالإمام عبد القادر الجيلاني .

والإمام عبد القادر الجيلاني : هو التصوف كله ، من اعترف به فقد اعترف بالتصوف وهو يمثل مكانة الأستاذية بالنسبة لابن تيمية لأنه من أسانيد « ابن تيمية » في الحديث ، وأسانيد المحدثين هي أستاذية لمن يتخذهم إسنادًا .

ومن ناحية أخرى فإن الإمام أحمد بن حنبل يشيد إشادة كبيرة « ببشر الحافي » ، وبشر الحافي من كبار أئمة التصوف ، وكان بينه وبين الإمام « ابن حنبل » صداقة متبادلة ، وتقدير متبادل ، ويقول الإمام أحمد بن حنبل للسيدة الكريمة أخت بشر الحافي :
(من بينكم تقيض الورع) .

وكلُّ هذا يدلُّ على أن أئمتنا - السابقين منهم واللاحقين -
ما كانوا يفرِّقون بين السلفية والصوفيَّة ...

ومما هو معروف أن الإمام « أبو عبد الله الأنصارى الهروى »
من كبار زعماء الحنابلة كان يقول :

« أنا حنبلى ما حييت وإن أمت ... فنصيحته للناس أن يتحنلوا »

كان من أئمة الصوفيَّة ، ولإمام أبو عبد الله الأنصارى الهروى
- الذى كانوا يسمُّونه شيخ الإسلام - كتاب من أشهر كتب التصوف
اسمه « منازل السائرين » يسير بالإنسان فى مقامات الصوفيَّة ، وفى
أحوالهم ، من منزلة إلى منزلة حتى يصلَّ به إلى القرب من الله سبحانه
وتعالى ..

ولقد اُحوى هذا الكتاب المختصر والموجز التصوف كاملاً ،
مقامات وأحوالاً ..

وجاء الإمام الكبير « ابن القيم » أكبر التابعين لمدرسة « ابن تيمية »
فألف كتاباً ضخماً أسماه مدارج السالكين شرح فيه كتاب « الهروى »
منازل السائرين والأصل والشرح أيضاً يعبران عن التصوف كاملاً
يشيدان به ، ويحثان عليه ، ويبينان أنه هو السلفية الصادقة لأنه « الحبُّ
والاتباع » .

لماذا يحاول من يتسبون إلى السلفية أن يجعلوا بينها وبين الصوفيَّة
فرقة واختلافاً ؟ :

نحب أن نقول فى غير إسراف أن ما يسمونه السلفية الآن هو
فكرة ممسوخة لا تمثل السلفية فى قليل ، ولا فى كثير ، إنهم يشحذون

عن فوقية ، وعن جهة ، ويتحدثون عن أمور لا يتحدث فيها لسيف
عليهم رضوان الله تعالى

وأيضاً يحب أن يقول : إنها أصبحت حرفة يحترفها قوم من أجل
البيع المادي ، ولو لم يمسح ، و لو لم تصحح حرفة ، حدثت هذه
المناقشات ، ولا حدث هذا الجدل الذي هو سببه من سمات البعد
عن السلفية هي نكتب ، وعلى صفحات الجرائد

ويحتتم الدكتور عبد الحليم محمود حديثه بقوله .

يكفى أن ترد على هؤلاء بكلمة قالها « الشيخ محمد عبده » الذي
يتمسحون به كثيراً وهو يصدد الحديث عن الأولياء ، وعن حال
القرب قال :

« أمّا رباب النفوس العالية ولعقور السامية من العرفاء ممن لم يبد
مراتبهم من مراتب الأسياء ، ولكنهم رصوا أن يكونوا هم أولياء ،
وعلى شرعهم ، ودعوتهم أسماء فكثير منهم نال حظّه من الأس
يقارب تلك الحال (حال القرب) في النوع أو الجنس ، هم مشارفهم
في بعض أحوالهم على شيء من عالم الغيب وهم مشاهد صحيحة في
عالم انشأ لا تسكر عليهم لتحقيق حقائقها في الواقع فهم لذلك لا
يستبعدون شيئاً مما يحدث به عن الأسياء صوات الله وسلامه عليهم
ومن ذق عرف ومن حرم انحراف .

ودليل صحة ما يتحدثون به وعنه ظهور الأثر الصالح منهم ،
وسلامة أعمامهم مما يحاف شرائع سيئاتهم وطهارة فطرتهم بما يكره
العقل الصحيح أو يمحّه الدوق السليم ، وانتفاعهم بباعث من الحق

الناطق في سرائرهم المتلأئ في بصائرهم إلى دعوة من يحف بهم
إلى ما فيه خير العامة ، وترويح قلوب الخاصة » .

هذا ما يقوله الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد ، إنه يقول
بالحرف الواحد : « من ذاق عرفه »

أما هؤلاء الذين اتحدوا استسقية حرفة ، ولم يندوفوا دينهم لم يعرفوا
ويقول « ومن حُرِم الحرف » وهؤلاء قد حرموا فأنحرفوا
ونرجو الله سبحانه وتعالى لهم الهداية .

وبعد فإننا في هذا الكتاب نقدم شيخ الأهر ، شيخ الإسلام
والمسلمين ، الشيخ محمد الحفسي ، نقدمه مثلاً كريماً للصوفي الصافي ،
واسلفي اسقى ، مثلاً كريماً للحب والاتباع »

إنه يقدمه إماماً من أئمة الحب والاتباع يسير على نسق أسلافه
المحبين المتبعين : « عند القادر الحيلاني » ، « الهروي » ابن القيم
وعشرات غيرهم ممن كان رائدهم الحب والاتباع

وما من هدف لـ فيما نكتب عن الصوف إلا أن نرى الحقيقة
في الوحدة بين مذهب الحب لمنبع ، ومذهب الاتباع لمحب .

وإذا كانت بعض الصبائح تركز دائماً على الاختلاف : فحترعه ،
وتحسبه ، وتصححه ، ونسخته ذيداً وشعاراً

فإننا نركز دائماً على توحيد ولوحدية ، نرى أنه لا يتأني مطلباً
الحب دون الاتباع .

وإنه مما لا مرية فيه بين المستصيرين أن الصوفية من أعلام المحين ،

مهم إذن من أعلام المتبعين ، وأن السلفية من أعلام المتبعين ، فهم
إذن من أعلام المخبرين .

والنتيجة هي أن مائدعو إليه ويدعو إليه كل محقق أن يسير
جميعاً في ظلال علم :

« الاتباع والحب »

هذا وبالله التوفيق^(١)

(١) إنها مقدمة وهي خاتمة أيضاً

أبو الأنوار شمس الدين الحفنى

لشيخ شمس الدين محمد بن سالم الحفنى^(١) رضى الله عنه :
شيخ الأزهر ، وعم الإسلام الحقائق !
لقد كان الشيخ شمس الدين الحفنى مصدر جاذبية عظمت في
عدة زوايا من شخصيته

لقد كان حسن السمعة أيقناً :
وكان في حديثه بارعاً مالكاً لزمام التوجيه !
وكان على علم غزير ، في العلوم الكسبية ، فهو يحدث مع المحدثين ،
ومنطقتي مع علماء المطلق ، وفقهه مع الفقهاء !!
وهو يدم على كل حال ، في علوم الكتب التي تتصل بالدراسة
في الأزهر ؛

وبكى الحادية الكبرى في الشيخ الحفنى كانت تتمثل ، في أنه
شخصية تنح بكل ما تستطيع إلى الله ، لم تفتته الدنيا ، وقد كانت
عند قدميه ، ولم يفتته لمصب ، وقد أحل رأس المصب لدينية !

() في كتاب الأعلام (هامش) يقول في ترجمته لشيخ « اشتهر صاحب الترجمة
بالحفنى والحناوى وكان يسمى بهما ، وعندى مخطوطة من رساله في أسماء أهل بدر يقول
في مقدمتها : « فقير به الحفنى ، عبد مولاه محمد الحفنى » ومودح من حظه محمد بن
سالم الحناوى فكلاهما صحيح

ويتحدث عنه الإمام « الدردير »^(١) في رسم له هذه الصورة المشرفة

« الإمام المهيب الذي كان الملوك تحضع حسنه

لمسحي لدى شهد لأعداء بهمته وسعائه ، بحيث يقر كل إنسان
بأن الملوك لا قدرة لهم على أن يحدو كما كان يحدو !

الحسن المخلق الذي كان كل من حالسه لا يشيع من وادده حتى
لحسود !

الجميل الذي كان وجهه كالشمس ، في رابعة النهار ، حتى
إن كل من رآه ذكر الله العزيز الغفور !

الذي كانت العامة ، والخاصة يتركون برؤيته ، وينسارعون لتفصيل
راحته !

احصاء بين تحقيق العلوم الظاهرية ، والأسرار الإلهية !

المتكلم على الحواصر ، كما كان يشهد من سلط على يده المسية ،
يربي أصحابه باللحظ والدلالة ، وله يسهم مهابة لا توجد في كثير
من الأبطال » ، كما قيل :

إذا ما سطا دع عنك تذكّر عتر إِنْ جَدَّ لَا تَذْكُرْ مَكَارِمَ حَاتِمٍ
وَلَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِلَّةٌ « حَفَا » وَهِيَ بَلَدُهُ مِنْ مَخَافَةِ الشَّرْقَةِ
مَرْكَزُ بَلْبَيسَ . معجسة في حو جميل في من المراءع الحضراء ،
واحدائق العاء ، يشع في حوها تيار من الروحانية ، لها بها من
كثير من الرجال الذين ينتمون إلى التصوف ، على أسلوب الطريقة

(١) أنو البركات الدردير : من أن كتب عنه كتاب مستعلا .

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ بَرَأَ مِنْهُمْ قُلُوبُهُمْ قَلِيلًا مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْ مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾^(١)
ويقول سبحانه :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجُنَّتْ قُلُوبُهُمْ ، وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ، وَعَنَىٰ رَبُّهُمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٢) .

وقرعة القرآن ما ثوابها الحَمْدُ . يقول رسول الله ﷺ .
« مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِّنَ الْقُرْآنِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا » .
أما بى لا أقول . « أَلَمْ » حرف ، وكى أَلِف حرف ، ولام حرف وميم حرف » .

أما تعلم القرآن وتعييمه ، فيقول رسول الله ﷺ عن ذلك :
« خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » .

وهل قرأت هذا الحديث بعد الفيس الرائع ، الذى رواه الحاكم وقال عنه : صحيح الإسناد :

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال
« مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَقَدْ اسْتَدْرَجَ النُّوَّةَ بَيْنَ حَبْنِهِ ، عَيْرَ أَنَّهُ لَا يُوحَىٰ إِلَيْهِ » .

« لا ينمى لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد^(٣) ، ولا يجهل

(١) لقائه : ٨٣

(٢) الأنفال : ٢

(٣) يجد أى يجد من الواحد وهو خبر واحد (لا يسمى أن يجد مع من حزن)

مع من جهل ، وفي جوفه كلام الله » وإذا اجتمع قوم لقراءة القرآن ، سواء أكانوا كباراً ، أم صغاراً ، فإنه يصدق عليهم ما رواه الإمامان : مسلم ، وأبو داود ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وعشيتهم الرحمة وحقتهم الملائكة ، وذكّرهم الله فيمن عبده » .

أما من شغله القرآن فإنه يال سؤله دون سؤال ، عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ

يقول الرب تبارك وتعالى . « من شغله القرآن عن مسألي أعطته أفضل مما أعطى السائلين ، ومصل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » (١) .

وهذان الحديثان التاليان ، أرحو أن يتدبرهما القارئ ، ويقف عندهما طويلاً ، إن كان يحب الحير لنفسه ولوالديه .

عن سهل بن معاذ عن أبيه رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « من قرأ القرآن ، وعمل به ، أليس والداه تاجاً يوم القيامة . صوته أحسن من صوء لشخص في بيوت الدنيا ، فما طمكم بأذى عمل بهذا » (٢) .

(١) رواه الترمذي قال حديث حسن غريب

(٢) رواه أبو جازد ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد

وعن أبي هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال
 « يحيى صاحب القرآن يوم القيامة ، فيقول القرآن : يارب حنة ،
 فيلبس نأج الكرامة ، ثم يقول » .

« يارب ردة ، فيلبس حنة لكرامة ، ثم يقول يارب ارض عنه ،
 فيرضى عنه ، فيقال له اقر وارق ، ويزداد بكل آية حسنة » (١) .

في القرآن الكريم ؟ يقول الله تعالى . ﴿ هُوَ الَّذِي هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى
 جَنَلٍ لَّرَأَيْتَهُ حَاشِعًا مُّتَضَعًا مِنْ حَشِيَّةٍ لِلَّهِ ﴾ (٢)

وقد سبق أن كتبنا تحت عنوان « وأنه لكتاب عزيز » ما يلي
 يقول الله سبحانه عن ليلة رسول القرآن .

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ
 حَكِيمٍ ، أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ، رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
 الْغَنِيمُ ﴾ (٣) .

وهذه الليلة المباركة هي ليلة القدر ، وعنها يقول الله سبحانه
 ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ
 حَبِيرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ
 أَمْرٍ ، سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ (٤)

(١) رواه الترمذي في مسنده ، وفي حريصة ، وخاتمة وقار صحيح الإسناد

(٢) النحل ، من الآية : ٢١

(٣) النحل من : ٣ : ٦

(٤) سورة القدر

كيف حدث ذلك ؟

في أوائل كتاب البخاري أصبح الكتب بعد كتاب الله سبحانه
- وصف كيفية نزول القرآن : عن عروة بن الزبير ، عن عائشة
أم المؤمنين أنها قالت :

« أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة
في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ؛ ثم
حبيب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه (وهو اتعبد)
ليالي دوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتروّد بذلك ، ثم يرجع
إلى حديبة فيتروّد لمشهده ، حتى جاءه الخبر وهو في غار حراء ،
فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارئ !

قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال :
اقرأ ، قلت : ما أنا بقارئ !
فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال :
اقرأ ، ففعلت ، ما أنا بقارئ !

فأخذني فغطني الثالثة ، ثم أرسلني فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي
خلق ، خلق الإنسان من علقٍ ، اقرأ وربك الأكرم ﴾ ^(١) وكما وصف
الله سبحانه ليلة نزوله بأنها مبركة ، فإنه وصف القرآن نفسه بأنه
مبارك .

﴿ كِتَابُ أَنْزَالِهِ لَيْتَ مُسَارِكُ لِبَدِّرُوا آيَاتِهِ وَلَيَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ^(٢) .

(١) العلق : من ١ ، ٣

(٢) ص ٢٩

ولقد استقصى فرقان الكريم في وصف القرآن ، وبدأ الحديث عن هذه الأوصاف بملاحظة برجو القارئ أن يدبر معناها .

إن الله سبحانه وتعالى يختم سورة « الشورى » بهذه الآيات الكريمة ﴿وَمَا كَانَ لِنَشْرِئِ أَنْ يُكِنَّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ، فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ، إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ ، وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرٍ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ ، وَلَا الْإِيمَانُ ، وَكَُنْ جَعَلَهُ نُورًا يُهْدِي بِهِ مِنَ نَشْأَةِ مِنْ عِبَادِنَا ، وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْأَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ (١) .

في هذه الآيات الكريمة يذكر الله سبحانه صفتين من صفاته تعالى : « إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ » ، وهو ، سبحانه ، على في الأرض ، وهو على في السماء ، وهو سبحانه أحكم الحكماء ، إنه على حكيم دول تشييه أو تمثيل ، وبعد هذه الآيات الكريمة يبدأ القرآن مباشرة في سورة الزخرف ، والآيات الأولى منها :

﴿حَمْدٌ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ، إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِبُونَ ، وَإِنَّهُ فِي أُمِّ لِكِتَابٍ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ ﴾ (٢) وفي هذه الآيات يصف سبحانه وتعالى القرآن دلوصعين للذين وصف بهما نفسه ، ولكنه يريد شيئًا من التأكيد .

(١) الشورى : ٥٢ ، ٥٣ .

(٢) الزخرف : ١ ، ٢ ، ٣ .

إن القرآن على . عن كل ما عداه من قول . إذا نظرت إليه من الناحية اللفظية ، وجدته في أعلى مستوى من مستويات البلاغة ، وفصل كلام الله عن سائر الكلام كفصل الله عن سائر البشر ، لقد أعجز السعاء في كل عصر وتحداهم في كل بيئة .

وإذا نظرت إليه من ناحية المعنى فإنك تجد

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^(١) .

لقد أتى الباطل على كتب الله السابقة حين غُيرت وبدلت ، ولقد أثبت عدم تاريخ الأديان في أوروبا وأمريكا هذا التغيير والتبديل بما لا مجال للشك فيه !

لقد أثبتته مثلاً في فرنسا الأستاذ « شارل حبيير » في عدة كتب من مؤلفاته ، والأستاذ شارل نمة من قسم التحقيق العنصرى ، وقد احتل أكبر المناصب العلمية في عدم تاريخ الأديان في فرنسا ، وهو منصب رئيس قسم تاريخ الأديان في جامعة باريس ، وأثبتته الأستاذ « لودس » ، وهو من كبار أساتذة تاريخ الأديان في فرنسا أيضاً في عدة كتب من مؤلفاته ، وثبته غيرهما

أما القرآن - فإن الأستاذ « ديمومير » وعشرات غيره من المستشرقين الغربيين قد قالوا . إن القرآن الذي نقرأه الآن ، هو القرآن الذي أنزل على محمد - ﷺ ، وخلق الله العظيم إذ يقول .
﴿إِنَّ نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢) .

(١) ص ٢٢

(٢) حجر ٩

وم يدخل عليه الباطل من جانب المبادئ ، ونحن كان التعبير والتبديل في الكتب السابقة قد أفسد المبادئ التي أتت بها الأديان السابقة ، فإن المبادئ التي رسمها القرآن هداية للإنسانية باقية على الدهر تعلن عن مصدرها وأنها : ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(١) وهي نظرة إلى هذه المبادئ تثبت صدقها :

إنها في التشريع تركز على العدالة

﴿وَلَا يَحْزَمُكُمْ شَيْئًا قَوْمٌ عَنَىٰ إِلَّا تَعَدَّلُوا ، اْعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لَتَقْوَىٰ﴾^(٢)

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالنَّهْيِ ، يَعْطُقُكُمْ لِعَمَلِكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٣) وهي الأخلاق تركز على الرحمة :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٤)

وفي العلاقات الاجتماعية تركز على الأخوة . ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٥)

وهي العقائد تركز على الأساس الثابت لعنس والرحمة والأخوة ،

(١) فصلت : ١٢

(٢) المائدة : ٨

(٣) النحل : ٩٠

(٤) الأنبياء : ١٠٧

(٥) الاحزاب : ١٠

وهو التوحيد . والإنسان الموحّد حقاً هو الإنسان الذي أحب الإسلام
أن يكون مثلاً للإنسانية أجمع .

وفي الآيات الكريمة التي نحن بصددّها وصف القرآن : بأنه نور
من أسماء الله « النور » .

ويقول الله سبحانه ﴿ق ، وَتَقْرَأُ مَجِيدٌ﴾^(١) ، ويقول ﴿يَلْ
هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾^(٢) ، ومن أسماء الله « المجيد »

ومن أوصاف القرآن أنه عزيز : ﴿رُؤْيُهُ لِكُنُوتٍ عَزِيزٍ﴾^(٣) ، ومن
أسماء الله تعالى : « العزيز » .

وفي نهاية الحديث عن هذه الأوصاف التي سُجِّلَتْ في القرآن
واحدٌ ، نبي أن الله سبحانه وتعالى أقسم على وصف نفسه
بـقرآن : هو أنه كريم ، وهو يُصَفّ بوصف يعبر عن اسم من أسمائه
سبحانه وتعالى :

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ، وَأَنَّهُ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحَقِّ ، إِنَّهُ
لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُصْطَفَوْنَ ، تَنْزِيلٌ مِنْ
رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤) .

يقول صاحب « لطائف الإشارات » ﴿يُنَبِّهُ لِقُرْآنٍ كَرِيمٍ﴾ والكرم
هي الدناءة ، أي أنه غير محقوق . ويقال هو قرآن كريم ، لأنه

(١) ق . ٩ .

(٢) البروج : ٢١

(٣) صحت : ٤١

(٤) الواقعة : من ٧٥ - ٨٠

من عبد رب كريم على رسول كريم عني لسان مليك كريم : ﴿ في كتاب مكتوب ﴾ يقال في النوح المحفوظ ، ويقال في المصاحف وهو محفوظ عن التبديل . ﴿ لا يمسّه إلا المطهرون ﴾ عن الأدياس والعيوب والمعاصي ، وكان هو حجر فيه معنى الأمر ، أي لا ينبغي أن يمس لمصحف إلا من كان متطهراً من الشرك ، وعن الأحداث ، ويقال لا يجد طعمه وبركه إلا من آمن به . ويقال : لا يقربه إلا الموحدون ، فأما الكفار فيكرهون سمعه فلا يسمونه ، وقرئ : ﴿ المطهرون ﴾ أي الذين يطهرون نفوسهم عن ندوب والحلق الدنيء . ويقال : لا يمس حبره إلا من طهر من الشقاوة ، ويقال لا يفهم لطائفه إلا من طهر سره ، ويقال : المطهرون سرائرهم عن غيره ، ويقال إلا المحترمون له انقائسون بحقه ، ويقال : إلا من طهر بقاء السعادة ثم بقاء الرحمة .

ولقد تحدث الرسول ﷺ عن القرآن في استفاضة ، ومن عدة روي ، ويقتصر هذا على ذكر أربعة أحاديث :

١ - عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال

« مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَقَدْ اسْتَدْرَجَ الشَّيْطَانُ جَنْبِيهِ ، عَيَّرَ أَنَّهُ لَا يُؤْخَى إِلَيْهِ ، وَلَا يَسْعَى صَاحِبُ الْقُرْآنِ أَنْ يَجِدَ مَعَ مَنْ وَجَدَ وَلَا يَحْطِلَ مَعَ مَنْ حَظَلَ وَفِي خَوْفِهِ كَلَامُ اللَّهِ » رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد

٢ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال :

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَادِبَةُ اللَّهِ فَاقْبَلُوا مَادِبَتَهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللَّهِ ، وَلَوْ أَمْسِكُ ، وَالشَّيْءُ الدَّفْعُ ، عَصَمْتُهُ لَمْ تَمْسُكْ بِهِ ، وَنَجَاتُ لِمَنِ اتَّبَعَهُ ، لَا يَرِيحُ فَيَسْغُبُ ، وَلَا يَعْوَجُ فَيَقُومُ ، وَلَا تَقْصِي عَمَائِبُهُ ، وَلَا يَحْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ ، اتَّبِعُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُرْكُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ ، كُلُّ حَرْفٍ عَشْرَ حِسَابَاتٍ ، أَمَا بَنِي لَا أَقُولُ (ثُمَّ) حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلْفٌ حَرْفٌ ، وَلَأَمَّ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ » رواه الحاكم وقد . هو صحيح .

٣ - عن أنس رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ .

« إِنَّ اللَّهَ أَهْبِئَ مِنْ نَاسٍ قَالُوا : مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَحَاصُّهُ » رواه النسائي وابن ماجه والحاكم . وقال المنذرى . إسناده صحيح .

٤ . عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « إِنَّ لَدَى لَيْسَ هِيَ جَوْفُهُ شَيْءٌ مِنْ لِقَاءِ كَاتِبَتِي مَحْرَبٌ » رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد ، والترمذى وقال حسن صحيح .

ولقد بهض القرآن بالأمة الإسلامية نهضة لامثيل لها هي التاريخ حينما طبقته تحت قيادة الرسول ﷺ ، وأخرجته عن وضع المطريات إلى الواقع المطلق في المجتمع ، ولقد كان مجتمعا تبطل والتحرف المتوحيد

وهذا المجتمع القرآني فعل الأعاجيب ، وفي ذلك يقول المستشرق دى بور .

« أفلح محمد ﷺ هو وحلمه وأهله الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان

وعلى في أن بعثوا في نفوس أبناء الصحراء ، وفي نفوس من هم أكثر منهم تحضرًا من أهل البلاد الواقعة بين الأطراف : روح لاتحاد في العمل ، ولى هذا البعث الروحي يرجع الفصل ، في المكانة التي يتبوّوها الإسلام ، كدين عالمي ، ولقد صدق الله لسمعي وعده بالنصر ، وكأننا نأيدده هم استجابة لندائهم عما لقاء الأعداء « الله أكبر » وكأننا قد صغرت رفعة نسبنا فصوروها في فتوحهم طنا ، ولم يمحى رسم صوب حتى فتحت بلاد لفرس كلها وانترع العرب من الإمبراطورية الرومانية الشرقية أحسن ولايتين فيها - وهم انشام ومصر .

إن هذا المنتشر يرى أن هذه الفتوحات التي كانت - لنشر الخير والحق لا تفسر إلا بأحد أمرين :

إما أن تكون الكرة لأرضية قد صغرت في عهدهم ، فحاموها بهذه السرعة ، وإما أن الأرض كانت تصوى من تحت أرجلهم ، ولكنه الإيمان ، ولكنه مجتمع القرآن .

ومجتمع القرآن يتسم بصفتين

الأولى : أنه مجتمع قوى .

الثانية : أنه مجتمع سعيد .

ودلت أن الله - سبحانه وتعالى - قد رسم في القرآن طريق العزة بالله ، ورسم طريق السعادة فإذا طبق المجتمع لمادى قرآنية في أى عصر من العصور ، فإنه يسعد وينهض

والأمة الإسلامية في العصر لحصر لاسيين لهضتها إلا إذا أسلمت

قيادتها للقرآن الكريم ، تسمد منه الطريق إلى السعادة والقوة ، ولن يصدق أمر هذه الأمة في عصر من عصورها إلا بما صلح به أولها وإن كبار علماء المسلمين على مرّ العصور يعلمون هذه الحقيقة ، إنهم يعلمون أنه لا حدة ولا إنقاد للأمة الإسلامية إلا بالقرآن فَعَكفُوا عَلَيْهِ مَصْرُوفٍ وَمَوْضُوحٍ وَمُسْتَحْجِينَ وَدَاعِيِينَ بِهِ إِلَى اللَّهِ وَهَادِيِينَ بِهِ إِلَى اخْتِاقِ فَجْرَاهُمْ اللَّهُ حَسْبُ مَا يَجْرِي السَّمَاءُ عَنْ أَمْتِهِمْ .

وبنا في فترة النهضة هذه من حياة أمتنا ، ندعو الله سبحانه أن يوفق الأمة الإسلامية للأحد بوسائل السعادة والقوة ، وندعو رعماء العالم الإسلامي إلى أن يكون القرآن الكريم أساس النهضة الاجتماعية حتى تكون الأمة الإسلامية قوية سعيدة . أ هـ

ونعود - بعد أن ذكرنا ما سبق نشره - فنقول .

كانت الكتائب منتشرة في جميع أرجاء القطر المصري ، وكان ضوء القرآن يشع من كل مكان في القطر المصري ، وكان في القلوب تقوى وفي النفوس ورع ، وفي السلوك استقامة ، وفي الناس وداعة . وذلك كله من آثار أضواء القرآن .

ولقرآن يعيد الإنسان مبادئ الدين ، ويعيد شعورًا ومعرفة باسمي قواعد الأخلاق ، أما العقيدة ، فإنها العقيدة التي أحبها الله للأمة الإسلامية :

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَالْعَلَاءُكَةُ وَأَوَّلُوا الْعِلْمَ﴾ (١) :

(١) آل عمران - ١٨

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، فَاعْبُدُونِ﴾ (١) .

إنها عقيدة التوحيد الحاصل مطبق :

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٢) .

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ، سُبْحَانَهُ ، نَسْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ (٣)

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ، تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَعَاطُونَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ، أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ، وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ، إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا عِندَ الرَّحْمَنِ عَبْدٌ﴾ (٤) .

إنها عقيدة التوحيد في صفاتها ونقائها وضررتها وسموها ونفاستها أما التشريع فإنه .

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (٥)

وإد نعلم لإسناد القرآن أودده أسلوتا عربيا مختارا ، وأودده معرفة

(١) الأنبياء : ٢٥

(٢) سورة الإخلاص

(٣) الأنبياء - ٢٦

(٤) مريم : الآيات من ٨٨ - ٩٣

(٥) فصلت : ٤٢

باللغة العربية في معردياتها وفي براكيبها ، ولي نجد كاتباً عربياً ممتازاً
أو أدبياً له أصانته إلا وكان السر في ذلك معرفته بالقرآن ، معرديات
وتراكيب ، وما دخلت كلمات من القرآن في أسلوب كاتب إلا
وأشرقت وأصفت على لأسلوب أثارة من البهاء

كاتب الكتائب تُؤدّي رسالة ضرورية للأمة الإسلامية . ديب ،
ولعة ، وأخلاقاً .

وأحداث هذه الكتائب تتناقص شيئاً فشيئاً إلى أن كادت تنتهي

وما من شك في أن أهل الخير ، في مصر وفي غيرها من بلاد
العالم الإسلامي ، كثيرون ، ولعلهم م يشبهوا فيما مضى إلى حقوت
نور القرآن تتناقص الكتائب ، ورجو أن يكون هذا تذكرة هم
لإسهام في فتح هذه الكتائب من جديد ، يتدرجون بها إلى أن
تعم القطر المصري ، كما كانت ، وإن كل من يسهم في فتح أحد
الكتائب ، فإن له الثواب الجزيل عند الله تعالى ، لأنه يسهم في
نشر كلامه المبارك وفي توعية أسس يديهم ، وفي زيادة لشعور
بالتقوى .

ومن الأمور المؤسفة أن كثيراً من أهل الخير أوقفوا أموالاً
كثيرة على تعلم القرآن ، وعلى الكتائب واستولت ورارة الأوقاف
على هذه الأوقاف ، وأكبتها ، م ترع في ذلك حرمة الوقف ،
ولم ترع في ذلك حرمة القرآن ، وما زلت على مر السنين تأكلها
ولا تفكر في توريعها على الكتائب الموحدة ، ولا في إنشاء كتائب
بها ، وقد ألف رجال لورارة ذلك حتى وصل الأمر إلى أن ورراء

الأوقاف ، الذين يُحبون خدمة القرآن ، لا يشعرون إلى هذه الأوقات التي يستعيد منها المشرفون عليها . ولا يكتفون بالأكل منها ، وإنما يأكلونها ، يؤكلونها لأتباعهم وعملائهم وهم إنما يأكلون في بطونهم نارا

ومن لأموال المؤسسة أيضًا أن وررة التربية لا تشعر بعائده القرآن من أجل النعمة . ولا تشعر بعائده القرآن من أجل الأسلوب ، ولا تشعر بعائده القرآن من أجل العقيدة ، ولا تشعر بعائده القرآن من أجل الأخلاق ، ولا ولا . وكان الله جعل من بين أيديهم سدًا ، ومن حنهم سدًا فأعشهم بهم لا يصرون

وعلى الرغم من أنه يتولى وررة التربية من آن لآخر ورير صالح فإن بطاقته تستمر في تعبئة الأمر ، فلا تصح له ، ولا تير له الطريق ، ولو أسست وررات التربية في العالم الإسلامي لأفادت المجتمع الإسلامي عمدًا وديًا ، وأحلافًا . وأسهمت يساهمًا فعالًا في نشر الأمن والطمأنينة على الأنفس والأعراس والأموال ، وبرجر الله ها اهدايه والتوفيق .

وسود إلى الشيخ الحصى

نقد تعلم قرآن في كتاب البدة ، إلى سورة الشعراء ، وكان والده كما قد مقدمًا بالقاهرة ، وستقدمه إلى القاهرة ليكون تحت رعايته ، وأحد العلام في حفظ القرآن إلى أن متكمله ، ثم أحد يسير في التعليم على النهج المتبع .

وكان في النهج المتبع كثير من حكمه المبعثة عن التجربة ، لقد

أثبت التجربة أن خير وسيلة لتعلم علم لأزهر ، إنما هو البدء بحفظ المتن » .

والمتن - هي كتب هي كل من : مختصرة ، موحدة ، مركزة تركيزاً قوياً بحيث أصبح بعضها - من شدة التركيز وكأله الغار .

هذه المتن تحفظ عن ظهر قلب ، وهي بطبيعة الحال صغيرة الحجم نسبياً ، وفي بعض الأحيان لاتعدو أن تكون ورقات قليلة .

وكانت الطريقة أن يكتب العلماء على المتن شروحاً توضحها وتشرحها مفصلة ما أحمل ، وموصحة ما استعلق ، ومبينة ما يشبه أن يكون - في المتن إشارات ، وفي كثير من الأحيان يكتب العلماء حواشي على الشروح .

وكان من الواجب يكتب عليه عدة شروح ، ولشرح الواحد يكتب عليه عدة من الحواشي ، ويحتهد جميع الباحثين في التمهيد والتحرير والوصول إلى العاية في الدقة .

كان الطلبة يحفظون المتن ، وكان المدرسون يدرسون الشروح ولا يعملون الحواشي وحفظ قنات المتن ، لقد حفظ :

ألفية ابن مالك ، وهي خير متن في النحو والصرف . وعيه شرح ممتاز هو شرح ابن عقيل

وحفظ السُّلم في أصول الفقه .

والخوهر في التوحيد .

والرحبية

وَأَبْ شُجَاع . فِي الْعَقَّة الشَّافِعِي وَهُوَ مَتْنٌ مَشْهُورٌ مَا رَأَى يَدْرُسُ
فِي الْأَزْهَرِ لِأَنَّ ، وَحَفِظَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمَتُونِ ،

وَكُلَّ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ الدِّرَاسَةَ فِي الْأَزْهَرِ

بَعْدَ حَفِظِ الْمَتُونِ بَدَأَ فَتَنَا يَدْرُسُ عَلَى أَعْلَامِ الْعِلْمِ فِي الْأَزْهَرِ ،
وَكَانَ الْأَزْهَرُ إِذْ ذَلِكَ - كَمَا هُوَ فِي كُلِّ عَصْرِ - يَقُومُ عَلَى طَائِفَةٍ
مِنَ أَعْلَامِ الْعُلَمَاءِ أُخْلِصُوا وَجُوهَهُمْ لِلَّهِ ، ثُمَّ لِلْعِلْمِ ، وَوُطِنُوا أَنْفُسَهُمْ
عَلَى أَنْ يَكُونُوا جَدُّ اللَّهِ يَحْفَظُونَ عَلَى لَعَةِ الْقُرْآنِ ، وَيَجْتَنِدُونَ أَنْفُسَهُمْ
مِنَ أَجْلِ بَشَرِ قَوَاعِدِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ ، مُفَسِّرِينَ لِلْقُرْآنِ ، شَارِحِينَ
لِلْحَدِيثِ ، مُبَيِّنِينَ مَسَائِلَ الْفَقْهِ .. مُوَصِّحِينَ لِلدِّينِ فِي جَمِيعِ زَوَايَاهُ ،
وَكَانُوا - وَهَارُوا - يَرْفَعُونَ الْمَجْتَمَعَ بِعَيْنِ يَقْطَعَةٍ ، حَتَّى لَا يَحْرَفَ
عَنِ الْحَادَةِ . يَبْدُلُونَ فِي ذَلِكَ كُلِّ مَا يَسْتَطِيعُونَ

وَإِذَا كَانَ الشَّيْطَانُ وَأَعْوَانُهُ ، وَالنَّفْسُ وَأَهْوَاؤُهَا يَفْسِدُونَ جَهْدَهُمْ ،
وَإِذَا كَانَ الْمُحَرَّفُونَ فِي الْمَجْتَمَعِ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فُسَادًا ، وَيَقْصُرُونَ
فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ عَقِبَةُ هِيَ سَبِيلُ إِهْدَاةٍ فَإِنَّهُمَا لَا شَيْءَ فِيهِ
أَنْ لِعُلَمَاءِ الْأَزْهَرِ دَوْرُهُمُ الصَّحِيحُ فِي الْإِبْقَاءِ عَلَى الدِّينِ ، وَاللُّعَةِ الْعَرَبِيَّةِ ،
وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :

« لَا تَرَأَى طَائِفَةً مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يُضَرُّهُمْ مَنْ حَذَلَهُمْ
وَلَا مَنْ نَاوَاهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ » .

إِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةُ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْأَزْهَرِ وَمَنْ سَارَ عَلَى
بَهِيمِهِمْ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ

وكانت الدراسة في الأهر : حرة طليقة ، تناسب حقاً مع ما يجب لتعلم ، من مكانة سامية .

كان الأستاذ يختار المادة ، والمستوى ، والكتاب ، والرمز ، وكان التلميذ يختار هو أيضاً المادة ، والمستوى ، والكتاب ، والرمز ، ويزيد على ذلك أنه كان يختار الأستاذ الذي يرى أنه أكثر فائدة له .

وكانوا يبدؤون الدرس بعد صلاة الفجر مباشرة ، وقد أدركنا نحن شيئاً من ذلك ، فلقد كنا نحضر درس المرحوم العالم الكبير العارف بالله فضيلة الشيخ الدحوي ، في الرواق العباسي ، بعد صلاة الفجر ، وكان درساً في التفسير ، كان درساً رائعاً حقاً ، وكان درساً يجمع بين دراسة لكسبية والإلهامات الربانية ، وبه مما يؤسف له أنه لم يدون أحد هذه الدروس ولو دوست لأفادت علماً ، وفادت درساً من الإلهامات .

دخل فتنا الأهر بتلقي العم عن أعلام الأهر البابيين فتعلم على الشيخ أحمد الحلبي .

والشيخ محمد الديري

والشيخ عبد الرؤوف الشيشي وغيرهم ، وغيرهم .
بيد أن الذي كان له أثر كبير في حياة فتنا العمية الكسبية ، إنما هو الشيخ محمد الديري الديماطي ، الشهير بابي الميت^(١)

(١) الغلو الحزبي ج ٢ ص ٢٥٨

لقد أخذ عنه تفسير القرآن الكريم ، والقرآن هداية ، يرسم للإنسانية - الإنسانية جمعاء - عقيدتها ، ويبين لها أخلاقها - أسمى ما تكون الأخلاق وأصفها - ويبعد العربي لغة ، ويفيده أسلوباً أبغ وأفصح ، ما يكون الأسلوب : إنه الأسلوب الإلهي في روعته وجماله وإشراقه ؛ وتعلمد عليه في الحديث - والحديث معين للقرآن الكريم

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(١)

وقد بينه رسول الله ﷺ بقوله ، وبينه بحاله ، وبينه بسلوكه ؛ ولقد كانت أقوال رسول الله ﷺ وأحواله وأعماله أضواء قرآنية وأنواراً ربانية ، ولم تكن دراسته مع شبحه للحديث دراسة موجرة ، وإنما كانت مستفيضة جداً ؛ لقد درس عليه

١ - صحيح البخاري ، ورضي الله عن إمامنا البخاري ، وبضر الله وجهه ، جزاء ما بذله من جهد ، ووقت في جمع الصحيح الثابت ، من كلام رسول الله ﷺ ، وإنما لا يستطيع أن يوفى الإمام البخاري حقه من الثناء والمدح على قيامه بما قام به ، من خدمة السنة ، ولا تملك إلا أن تدعو الله تعالى أن يحشره مع من رضى عنهم من السنين والصديقين

وحي حيسا يذكر الإمام البخاري ، إمام المحدثين وشيخهم في كل عصر ، لا يموتنا أن نذكر أن بعض المعتوين المفرزين بأنفسهم وبأهوائهم حاولوا في العصر الحاضر أن يألوا من الإمام البخاري ، وقد ذكر ذلك لأحد شيوخنا الأفاضل فقال .

إن الحنافس إذا سولت لها نفسها أن تنال من الأسود ، فإن ذلك لا يخرجها عن بوعية الحنافس ، وعن أنها حنافس ، وسوف لا تشعر الأسود بها ، وإذا شعرت الأسود بها ، فإنها تبتسم في سرية وادراء ويذكر موقف الذي يبالغون من الإمام البخاري خادم السنة ، وشح حديثين يقول الله تعالى

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ عَدُوًّا مِّنَ الْمُحْرَمِينَ ، وَكَفَى بَرُّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾^(١) .

وبقوله تعالى :

﴿فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَاهُ حَسَنًا ، فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(٢) .

٢ - ودرس فنانا الحنفى صحيح مسلم ، ولقد قام الإمام مسلم فى خدمة السنة بمثل ما قام به الإمام البخارى ولكن مهما مهجه وطريقته ، ورجو الله للإمام مسلم ما رجونا للإمام البخارى : أن يحشره مع من رضى عنهم من البين والصديقين

ودرس فنانا فى مجال السنة أيضا :

٣ - سنن أبى داود .

٤ - سنن النسائى .

٥ - سنن ابن ماجه

(١) المرقا ، آية ٣١

(٢) فاطر ، آية ٨

- ٦ - ودرس الموصل للإمام عاقل ،
 - ٧ - ومسند الإمام الشافعي ،
 - ٨ - ومعجم الطبراني : الأكر ، والأوسط ، والصغير
 - ٩ - ودرس صحيح ابن حبان ،
 - ١٠ - ودرس : المستدرک للنيسابوري
- درس كل هذه الكتب في السنة .

وقد كان لأزهر في أيام فتنة مغيية بالسنة كل العناية لا يدرسها في مختصرات ، أو موحزات ، أو مختارات ، وإنما يدرسها في الأمهات الأصيلة .

إن السنة دعوة بالحسنى إلى الرقى لأحلاقي ابدى تحرى ربه لإساية لمهتدة ، إنها دعوة إلى التاجر أن يكون صادقاً ، فيحشر مع النبيين والصديقين والشهداء .

ولي العاقل أن يتقن عمله ، لأن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه .

ولي الصانع أن يؤدي العمل كما يحب ، حيث أحد الأجر ، ومن أخذ الأجر محاسبه الله على العمل

وهي دعوة إلى لأب ، باعتدله أبا ، وإلى الأم في رصعها كأم ، وإلى الأخ في مهمته كآخ ، وإلى غيرهم من أفراد المجتمع : أن يرعى كل منهم ما وكل إليه من أمر رعيته ، لأنه مسئول عن رعيته ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته

وهي دعوة لناس إلى الأمانة ، حيث أنه « لا إيمان لمن لا أمانة

له « . وإلى الصديق ، « وأن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً » وإلى رحمه الله العامة الشامة ، وصلوات الله وسلامه على من قال : « إنما آلا رحمة مهداة » .

وس قال : « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » ؟
وحد أي خلق كريم تنمى أن يسر عليه المجتمع : فتجد في السنة دعوة إليه ، بوسيلة وبأخرى ، وبثالثة .

ومى فى هذه الدعوة منه دائماً إلى دور لأمة إسلامية فى الأخلاق العالية : ين دورها : إنما هو دور لرائد الداعية وعلى الرائد دائماً أن يكون المثل الأعلى والأسوة الكريمة ، والقذوة الصالحة

ولقد كان رسول الله ﷺ . الصورة الحية الناطقة التى طبقت - كمبادئ إنسانية ممكنة - المخلق الذى رسمه الله وأحبه للإنسانية جمعاء ، والذى عبرت عنه السنة أجمل تعبير وأبلغه .

ومن أجل هذه التقدير الكريم بسنة الشريفة كان العلماء المستثمرون فى كل عصر يجاهدون من أجلها ، ومن أجل مكارم الأخلاق التى تعبر عنها ، وكان هؤلاء العلماء علماء السنة يعرفون سيماهم فقد كانوا من الرمد فى حطام الدنيا بحيث لا يراعون اناس فى دنياهم .

لقد كانوا مشغولين عن جمع المال بخدمة الدين ، وكانوا مشغولين عن الحياه بغرس المخلق الصالح الكريم ، وكانوا مشغولين عن لسطاط

بمن بيده المصطاف يؤتية من يشاء ويترعه ممن يشاء . مالك لذلك
دى الجلال والإكرام .

وكانوا صادقين ، لقد كان الصدق دينهم وفطرتهم
وكانوا صابرين على الحياة ، وصابرين على العمل . لقد أقاموا
بهارهم . وأسهروا ليلهم ، عملاً على مرضاة الله ورسوله ﷺ
والمثل لذي حب أن يسوقه - كصورة هؤلاء القوم هو .
الإمام أحمد بن حنبل ، رضى الله عنه . إنه المحدث الذي حاول
أن يكون صورة صادقة لما كان عليه الرسول ، ﷺ في الرواية
الأخلاقية :

وسيرة الإمام ، رضوان الله عليه . مثل أعلى في التمسك بما يراه
حقاً . وفي الصبر على ما يذله في سبيل التمسك بالحق
على أن كل من شمع بالسنة حقاً . إنما هو صورة ، قريبة بقدر
المستطاع ، من الإمام أحمد .

ولقد كان الإمام البخاري وغيره ممن أشرفت نفوسهم حب السنة .
أمثلة كريمة للمخلق الكريم

والأمثلة الكريمة للخلق الكريم هي دائماً هدف لسهام المادح
لأئمة التي استهووا الشيطان في قليل أو في كثير : إنه انزعاج
الدائم بين العصيلة وأصحابها ، وبين الممثلين لزعزعات الهوى والضلال .
ولولا وجود هذه المثل العليا لمكارم الأخلاق في كل عصر لفقدت
الإنسانية الثقة بنفسها ، ولما اطمأن إنسان لإنسان ، وما وثق شخص
بشخص .

لقد ربت السنة رجالاً ، وحصائصها التي ربت بها الرجال ، ترون
موجوده فيها ، لأنها من طبيعتها ومن ذاتها ، ولقد شاهدت الإنسانية
واعترفت سمو هؤلاء الرجال ، وأوتتهم ثقتها وتقديرها

إن الإمام أحمد بن حنبل ، وإن الإمام البخاري ، وإن أمير المؤمنين
في الحديث : الإمام سفيان الثوري ، وأمثال هؤلاء ، رضى الله
عنه : منارات يهتدى بهم عشاق المثل العليا الأخلاقية

لا بد إذن من العمل على نشر السنة وإداعتها ، ومحاولة الإكثار
من النفوس التي تشربها وتحققها وتمثلها وتحياها
لا بد من نشرها : وطنية

ولا بد من نشرها : إنسانية ، لأنها تعبر عن أرقى مستوى إنساني .
ولا بد من نشرها : دينياً .
ولا بد من نشرها : ذوقاً أدبياً .
ولا بد من نشرها : للثروة الدخيرية

وما من شك في أن للسنة جواً فكرياً . فالرسول ﷺ يتحدث
عن إصلاح المجتمع ، وعن عوامل الهدم ، التي تعمل على تقويضه ،
وعن عوامل البناء التي تعمل على إقامته على قواعد سليمة ، ويتحدث
عن النظم التي ينبغي أن تسود المجتمع الإسلامي ، وعن الأوضاع
التي يجب أن تستقيم .

وللسنة جو لغوي . فالرسول ﷺ قد أوتى حوامع الكلم ،
وكلامه ، ﷺ : أبلغ الكلام البشري ، وبشر السنة عامل من أهم
العوامل على ترقية اللغة التي يكتب بها الكتاب ، ومن أهم العوامل

على وضع الشائين والمثقفين في وضع أدنى ممتاز ، من حيث اللغة ،
ومن حيث الأسلوب .

وللسنة جو روحى : إنها تهذيب لنفس ، وتربية للروح وسمو
بالأخلاق إلى درجة لاتجارى ، وصلى الله وسلم على من قال

« إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ »

ورحم الله شوقى إذ يقول :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ومن أجل ذلك كنه كان بشر اسنة واجبا دينيا ، وعملا اجتماعيا
كريما ، وواجبا وطنيا حننيا وإصلاحا أخلاقيا ساميا .

وهو على كل حال ضرورة وصية ملحة فى عصر تحاول لرديلة
فيه أن نعلم الاحتلال لخلقى فى كل أسرة ، وفى كل بيت ، ويحاول
الفساد أن يأتى على مفلسات الأمة ومقوماتها من عرض وشرف
وكرامة .

لقد أحب الله للإنسانية مثلا أخلاقيا كريما رسمه سبحانه فى
القرآن الكريم قولاً ، فكان الرسول ﷺ الصورة التطبيقية الكاملة
لرسم الإلهى ، وكان بذلك الإنسان الكامل .

لقد كان مثل الأعلى فى الرحمة ، والمثل الأعلى فى الكفاح ،
والمثل الأعلى فى الصبر الجهاد المتعاضل ، والمثل الأعلى فى الصدق
وفى الإخلاص وفى الوفاء ، وفى البر وفى الكرم

ولقد وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله :

﴿وَأَنْتَ لَعَلَىٰ خَلْقِي عَظِيمٌ﴾^(١)

ولا ريب في أن الأمة الإسلامية حينما تقتدى بالرسول ﷺ إنما تقتدى بأعظم البشر رجولة وإنسانية .

وتقتدى بمن أحب الله سبحانه أن تقتدى به :

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، مَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ

وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ، وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٢) .

وإن العمل على بشر السيرة إنما هو توحيه للاقتداء بالرسول ﷺ

وإذا كانت السيرة تحتل هذه المكانة الصالحة ، في مهج دراسة الأهر . فإن مادة أخرى في غاية أهمية كانت تحتل أيضًا مكانة لا بأس بها وهذا من الطرافة ، ومن الحكمة بمكان تلك هي مادة التصوف .

مادة التصوف : موضوعًا أخلاقيًا ، ومادة التصوف مهجًا سلوكيًا ، ومادة التصوف : تركية نفسية ، وكذلك أيضًا مادة التصوف رجالًا أخلصوا دينهم لله !

والتصوف له كبه كموضوع وهي كباره كثرة مرصية وله رجاله كشخصيات ، أخلصوا وجوههم لله تعالى ، وأصبحوا مثلاً كريمة في العلم وفي تركية القلوب .

وكان الأستاذ في الأهر يحتار - إذا شاء - كتابًا في الموضوع ،

(١) سورة القصم : ٤

(٢) سورة الأحزاب : ٢١

أو يختار - إذا شاء - كتاباً عن الشخصيات ، أو يختار كتابين أحدهما عن الموضوع والآخر عن الشخصيات .

ولقد اختار الشيخ محمد البديري كتابين - أحدهما في الموضوع ، والآخر في الشخصيات وهما من أنفس ما كتب في الموضوع والشخصيات إذ لم يكونا أنفسهما .

أما الكتاب الحاص بالموضوع فهو كتاب :

إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الإمام الغزالي .

ودرس فتانا في انتباه ، وفي متعة روحية ، وفي تقدير كبير ، كتاب الإحياء على الشيخ محمد البديري وكتاب الإحياء أهم كتب الإمام الغزالي . ولقد قال فيه الإمام لسوي :

« كاد الإحياء يكون قرآنًا »

وقد ألهه الإمام « الغزالي » في لفترة التي اعتزل فيها الناس متعدياً ، وما يؤيد ذلك ، ما رواه الإمام « أبو بكر بن العربي » في كتاب « القواصم والعواصم » من أنه التقى بالإمام بمدرسة السلام ، في جمادى الآخرة ، سنة تسعين وأربعمائة ، وكان قد راض نفسه بالطريقة الصوفية ، من سنة ست وثمانين إلى ذلك الوقت نحواً من خمسة أعوام .. فقرأت عليه جملة من كتبه ، وسمعت كتابه الذي سماه : « الإحياء لعلوم الدين » .

ما فيما يتعلق بالبراهن التي من أجلها ألف الإمام . « كتاب الإحياء » .

وأما فيما يتعلق بهدف الذي من أجله ألف كتاب « الإحياء » .

وأما فيما يتعلق بحوهر موضوعه ، فإن ذلك كله يتلخص في كلمة واحدة هي : الإخلاص .

ولقد روى « ابن الجوزي » أن بعض أصحاب « أبي حامد » سأله قبيل الموت قائلا :

« أوصني ؟ فقال له عليك بالإخلاص ، ولم يرد يكررها حتى الموت عليك بالإخلاص ؟ » ! لقد تلفت « أبو حامد » يومًا إلى نفسه ، فوجد أنه متجرد من الإخلاص ، وأن كل شيء ، إنما هو الشهرة ، والصيت ، والجاه ، والمنزلة عند الناس ، وعدد الحكام ... وانتقص « أبو حامد » انتفاضته التي وضع بها نفسه في محيط الإخلاص . وتلفت « أبو حامد » - بعد ذلك فيما حوله ، فوجد أن الناس صُم ، بُكْم ، عُتَى ، عن قوله تعالى : ﴿ أَلَا اللَّهُ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ (١) .

وعن قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (٣)

وعبر ذلك من الآيات الكثيرة التي تدعو إلى الإخلاص في الدين ، وإلى إخلاص الدين لله وحده ، وهي في دعوتها إلى الإخلاص إنما تدعو إلى : « التوحيد » [

(١) الزمر ٢

(٢) البقرة ٥

(٣) غافر ١٤

ووجد أن الشيطان قد سحود على أكثر الناس ، واستعواهم الضعفاء وأصبح لدى في نظر بعض علمائه ، فضلاً عن غيرهم - فتوى حكومية ، وُجدلاً للمباهاة والعدة والإفحام و سحراً مزحرفاً ، يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام .

ما رأى « أبو حامد » ذلك ، ألف كتابه الفيس

وَألف ليستعيد الإخلاص إلى القلوب ، ليستعيد مآد رح عليه العسف الصالح . من اتخاذ الإخلاص أساساً ، وشعاراً ، وما من شك في أن إخلاص الدين لله وحده ، هو التوحيد ، وما من شك في أن التوحيد . هو جوهر لدين الإسلامى ، وهو طابعه ، وهو هدفه ، وغايته .

وَألف الإمام كتابه إذن ، ليبين فيه الإخلاص أساساً ، ونتائج ، وأسباباً وعادات ورتب الكتاب أقساماً ، والأقسام كتباً ، والكتب أبواباً . والأبواب فقرات . كل ذلك ليسهل تناوله

فأما أقسام الكتاب فهي أربعة :

١ - قسم العبادات : يذكر فيه من حمايا آدابها ، ودقائق سننها ، وأسرار معانيها . كل ما يحتاج العالم العامل إلى معرفته من وجوه الإخلاص فيها ، وفهمتها على الأسس التي يحبها الله سبحانه ، ورسوله ﷺ .

٢ - قسم العادات : يذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق ، وأحوالها ودقائق سننها ، وخميا أمورع في مجاريها ، وذلك مما لا يستغنى عنه متدين .

٣ قسم المهلكات - وهي الأخلاق المذمومة ، التي ورد
القرآن بتطهير القلب منها : يُعرفُ بها ، ويذكر أسبابها ، وما يشأ
عنها من مضار ، ثم يذكر طرف العلاج منها .

٤ - قسم المحبات . يذكر فيه كل خلق محمود ، ويشرح الوسائل
التي بها يكسب ، والنصار التي تجنى من التخلق به

وهو في كل هذه الأقسام : يتدبّر كل موضوع يعالجه يذكر
الآيات القرآنية ، والأحاديث السوية والآثار عن الصحابة والتابعين ،
وأخبار الصالحين

أما عن تقدير هذا الكتاب ، فإن الإمام الحافظ العراقي يقول .
« به من أجل كتب الإسلام في معرفة الحلال والحرام ، جمع
فيه بين ظواهر الأحكام . ونزع إلى سرائر دقت عن الأفهام ، لم
يقصر فيه على مجرد نعوع والمسائل ، ولم يتجر في الدعة ، بحيث
يتعسر الرجوع إلى الساحل ، بل مزج فيه علمي الظاهر والباطن .
ومزج معانيهما في أحسن انواط وسبك فيه نفائس . انقط ووسطه .
وسبك فيه من السط أوسطه . مقتدياً بقول « على » كرم الله وجهه
« خير هذه الأمة السط الأوسط يلحق بهم انان ، ويرجع إليهم
العالى » .

وقال « الزبيدي » شارح « الأحياء » :

« وأنا لا أعرف له نظيراً في الكتب التي صنفها الفقهاء لجامعون
في تصانيفهم بين النفس ، والنظر ، والمكر ، والأثر »

وقال « ابن السككي » :

« وهو من الكتب التي يسعى للمسمى الاعتناء بها ، وإشاعتها ،
ليتهدى بها كثير من الحلق ، وقد من ينظر فيه إلا ويتعظ به في
الحال » .

وقال الشيخ « عبد القادر العيدروس » في كتاب « تعريف الأحياء
بفضائل الإحياء » .

اعلم أن فضائل « الإحياء » لا تخصي ، بل كل فضيلة له باعتبار
حيثياتها لا تستقصي .

وكان « عبد الله العيدروس » رضى الله عنه يكاد يحفظه ، وروى
عنه أنه قد مكث أطلع كتاب « الإحياء » كل فصل وحرف
منه ، وأعادده ، وأتدبره ، فيظهر لي منه في كل يوم علوم ، وأسرار
عظيمة ومفاهيم عزيزة ، غير التي فيها ؛ ولم يسبقه أحد ، ولم
يلحقه أحد » ومن كلامه :

« عليكم يا إخواني بمتابعة الكتاب والسنة : أعنى الشريعة
المشروحة في الكتب ايعرالية ، خصوصاً كتاب ذكر الموت ، وكتاب
الفقر والزهد ، وكتاب التوبة ، وكتاب رياضة النفس » وقد أكرم
الشيخ « عبد الله العيدروس » أخاه قراءة الإحياء ، فقرأه عليه مدة
حياته خمسين وعشرين مرة !

وسبحم هذه التقديرات برأى أعتقد أنه فيصل الحق في موضوع
« كتاب الإحياء » وهو رأى فضيلة الإمام الحليل الأستاذ الأكبر الشيخ
(محمد لحصر حسين) شيخ الأهرم السابق ، وهو عالم لا يتهم

بعضية ، والآراء مجمعة على أنه من العلماء الذين حاولوا جاهدين أن يكون كل ما يصدر عنهم إنما يراد به وجه الله ، يقول :

وإذا وجد العلماء في كتاب الإحياء مأخذ معدودة ، فإنه من صنيع بشر غير معصوم من الزلل ، وكفى بكتاب الإحياء فصلاً وسموً مزنة ، أن تكون درر موائده فوق ما يتناولها العدد ، وأن يظهر منه طلاب العلم ، وعشاق القصيدة بما لا يطهرون به من كتاب غيره :

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(١) .

ودرس فتانا (الشيخ الحفنى) على الشيخ نفسه كتاب :

« حلية الأولياء » لأبى نعيم الأصفهاني

وابو نعيم يحدث معروف ، وكتابه هذا أوسع المراجع فيما يتعلق بالشخصيات إلى نهاية القرن الرابع الهجرى تقريباً ، ويقع فى عشرة أجزاء كبار .

وقد بدأه بالصحابة رضوان الله عليهم مبتدئاً بالصديق رضى الله عنه وذكر فيه كبار المحدثين الصوفية وأئمة مذاهب الفقه ، ورضى الله عن أبى نعيم ، فقد أَرْضَى التاريخ ، وأَرْضَى الأرواح ، وكتابه من العوامل المؤثرة لتزكية النفس .

درس فتانا هذه الكتب ، واستكمل دراسة العلوم التقليدية من الفقه والأصول والمنطق وغيرها مما كان يدرس فى الأهرار

(١) البقرة - ٢٦٩

وظهر لبوغه هي سر مبكرة ، فقد كان مجتهدًا مجتهدًا بعيدًا كل البعد عن توافه الأمور ، وعن اللغو ، وعن بصاعة الوقت فيما لا يجدي وكان مكثبًا على الكتب ، ملارمًا لأسياحه ، كل وقته استعادة إما عن طريق المطالعة ، وإما عن طريق السماع من أشياحه

وقدره أشياحه نقديرًا كبيرًا وهو مارال بعد هي بواكير شابه . فأجازوه بالإفتاء والتدريس وهو لم يتجاوز بعد الثالثة والعشرين من عمره المبارك .

عنده انتهى الشيخ الحفي من الدراسة تميذًا ، واستأنف حياة الدراسة أستاذًا بدأ بشعر بوطاة الحياة الددية .

فلم يكن الشيخ وارثًا ثريًا عريضًا ، ولم يكن تاجرًا عنيًا ، وإنما كان طالب علم أثناء أن كان يتعلم . وكان طالب علم أيضًا أثناء أن كان يُدرس ، وكان العلم والعبادة جوهر حياته ، وهو وإن كان قد تدخل فيما كان يحدث بين الحكام إذ دالك ، أو فيما كان يحدث بين الحكام والشعب ، فإنه ما كان يدخل دحول السياسى المحترف ، وإنما كان يدخل دحول الأب الصبح المرشد . كان يدخل من قمة التوجيه والإرشاد ، كان يدخل قرانيا محمديا . وهو بهذه الصفة كان محدصًا ؛ لم تكن عنده شهوة الحكم . هذه الشهوة التي تفسد على المصالحين كل شىء والتي لا تأبى إلا بتيحة حتمية ، هي الصرع بين المصلح وبين المجتمع أيضًا من بينهم رمام الحكم ؛ ومن وراء ذلك يحدث

الاصطراب فى المجتمع ونسيل الدماء ، ويكون النوبال على الصفرين وعلى المجتمع أيضاً .

والشيطان دائماً يدحس على المصلحين ، ومن رايوة أنه لا طريق للإصلاح إلا بتولى أمر الحكم ، وتنفيذ الإصلاح بالقوة وبالقانون ، وذلك حداع ينتهى بتدمير الخاكمين والمصلحين والمحكومين ؛ وأحياناً يدس الشيطان على المصلحين بأنهم يقومون لله فى وجه الطعة والطمعة ، ولو أحلصوا وجوههم حقيقة لله لأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر دون أن يكون من وراء ذلك شهوة الحكم ، وإذا فعرو ذلك كان تأثيرهم فى المجتمع كبيراً ، وكان الحكم أنفسهم من حير الأعوان لهم ، وينتهى بهم أمر الدعوة إلى أن تعم المجتمع ، وتكون لاستجابة فيصلح أمر المجتمع وينتوى قيادته الصالحون ، وكما يكونوا يول عديكم

وهذا الطريق طريق الابتعاد عن شهوة الحكم ، هو الطريق الذى سار فيه الأئمة الأعلام ، من كبار الساعين إلى الله تعالى ، أمثال : الحسن البصرى ، وسعيد بن المسيب ، وسفيان الثورى ، والأورعى ، وعبد القادر جيلانى ، والرفاعى ، وأبى الحسن الشاذلى ، وأبى العباس المرسى ، وابن عطاء الله اسكندرى ، وعشرات غيرهم

لقد كانوا قمة شامخة فى العلم ، وكانوا قمماً شامخة فى الدعوة إلى الله تعالى ، وعاشوا حياتهم داعين إلى الله تعالى . يحترمهم الحكم ، ويحترمهم الشعب ، وهادوا إلى الله تعالى نفوساً صالحة ، وقادوا إليه سبحانه أمة حائرة :

ولأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من الدنيا وما فيها ؛
ولأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من حمر النعم^(١) وعلى سطر
هؤلاء سار شيخنا الحفنى :

سار فى حياته غير متطلع لحكم ولا لدنيا ، ولكن واقعه كان
شديد الوطأة من ناحية مطالب الحياة المخلوذة التى لا ترعب فى
أكثر من الكفاف .

ماذا يفعل ؟

لقد بدأ فى اتخاذ حروفه ، وهذه الحرفة اتحلها الإمام الكبير
أحمد بن حنبل من قبله . وهى نسخ الكتب وبيعها والإنفاق من
ثمنها . ويستفيد الإنسان من نسخها عنماً ، ويستفيد من بيعها مالاً
يكفى - عى صأته ما يمسك لرمق ، ويفيد من ذلك الآخرين
الذين يشترون الكتاب المنسوخ .

واشتري شيخنا أقلاماً ، واشتري محابر ، وبدأ العمل ؛

ولكنه رأى - عن طريق التجربة - أن ذلك يصرفه ، فى قليل
أو كثير ، عن الاستزادة من العلم ، وربما كان الكتاب المطلوب
كتاباً عادياً لا يستفيد منه جديداً وهو يريد أن يستفيد جديداً فى
كل لحظة ، ثم طريقة البيع ؟ هل يساوم ؟ هل يعلن عن الكتاب ؟
وبأى أسلوب يعلن ؟ وعلى أى أساس يساوم ؟

ولكن لابد مما ليس منه بد ، لقد استمر صاحبا فى هذه الحرفة

(١) وأخرج الطبرانى فى الكبير حديثاً لعمه (لأن يهدي الله على يدك رجلاً خيراً
لك مما صنعت عليه الشمس وغربت) وهو حديث حسن

مدة لم تكن طويلة ، يقول الجبرتي عن الشيخ في بدء حياته في التدريس :

« حين جلس للإفادة لأزمه جن طلبة العلم ، ومن بهم يسمو المقول والمنقول .

وكان يد ذاك في شدة من صيق العيش ، ولنفقة .

فاشترى دواة ، وأقلاماً ، وأوراقاً ، واشتغل بنسخ الكتب فشق عليه ذلك خوفاً من انقطاعه عن العلم .

فبينما هو في بعض لدروس إذ جاءه رجل وانتطره حتى فرغ من الدرس فقال له :

« يا سيدى أريد أن أكلحك كلمتين »

وأشار إلى مكان قريب ، فسار معه حتى انتهى إلى المدرسة العبية فدخلاها ثم جلسا فأخرج الرجل محزمة ملانة بالدراهم ، وقال له :

« يا سيدى فلان يسلم عليك وقد بعث لك مئى بهذه الدراهم ويريد أن يحظى بقبولها » .

فأخذها منه وفتحها ، وملاً كفه من الدراهم وأراد إعطاءها لحاملها ، فامتنع وحلف لا يأخذ منها شيئاً ، ثم هارقه ذلك الرجل .

وذهب الشيخ إلى البيت وكسر الأقلام والدواة فاقبضت عليه الدنيا من حيث لا يشك ، وكان يتردد إلى زاوية سيدى شاهين الحلوتى بسطح الجبل ، ويمكن فيها الليالى متحدثاً .

وأقبل على العم وعقد الدروس وحتم لختوم بحصرة جمع
العماء » .

ولقد شمر الشاب الطموح عن ساعد الجد وهجم مباشرة على
تدريس أمهات الكتب ، إنه لم يبدأ بالكتب السهلة ، كتب المبادئ
الأولى في الفصول ، وإنما اتجه مباشرة إلى الكتب الدقيقة ، كالأشعوسى ،
وجمع الحوامع ، والمهج ، ومختصر السعد ، وغير ذلك من كتب
الفقه والمطلق والأصول والحديث والكلام ، وكان ذلك عام اثنين
وعشرين^(١) .

وبدأ الطلبة يكتثرون فى درس الشيخ ، وبدأت شهرته تديع ،
وبدأ ينتشر صيته

يقول الجبرتى !

« وحين جلس لإلانة لارمه حل طلبة العلم ، ومن بهم يسمو
المعقول والبقول » .

ويقول الحرثى وقرأ « المساج » مرات وكتب عليه

وكذلك جمع الحوامع ، ولأشمونى ومختصر السعد وحاشية
حفيدة عليه ، كتب عليها وقرأها غير مرة .

وكان الشيخ العلامة مصطفى العزيرى إذا رفع إليه سؤال يرسه
إليه ؛

واشتغل بعلم العروض حتى برع فيه وعانى النظم والشر

(١) لفظ الجبرتى

وأخرج عليه غالب أهل عصره وطفته ، ومن دونهم كآخيه
العلامة الشيخ يوسف ، والشيخ إسماعيل العنيمي صاحب التأليف
البدیعة والتحریرات الرفیعة المتوفى سنة إحدى وستين ، وشيخ لشيخ
على العدوى ، والشيخ محمد العلاني ، والشيخ محمد الرهار نزيل
المحلة الكبرى ، وغيرهم كما هو في تراجم المذكورين منهم

وكان على مجالسه هيئة ووقار ، ولا يسأله أحد لمهابة وجلالته «
أ هـ

وطابت حياة الشيخ واستقرت ، وأصبح في تفرغ كامل للعلم
يعبد ويستفيد

ولكنه كان متفرغاً أيضاً للعبادة ، يقول أجبرني .

« وكان يتردد إلى راوية سيدي شاهين احنوتی بسفح الجبل ،
ويمكث فيها الساعات متحدثاً « كان عالماً وكان عابداً ، والعلم البافع
هو الذي يشعر في النفس العلية الاتجاه نحو الله تعالى ، وإذا لم
يكن العالم عابداً فإن علمه وبال عليه .

وقد تحدث الرسول ﷺ . وتحدث أسلافنا عن العلم والعبادة
في استعاضة ، من ذلك ما يلي . وهو بعض ما أخرجه الإمام السيوطي
عند تفسيره لقوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١)

أُخْرِجَ ابْنُ الْمُنْذِرِ عَنْ أَبِي عَاسِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ قَالَ
« اَلْعُلَمَاءُ بِأَنَّهُ الَّذِينَ يَخَافُونَهُ »

وَأُخْرِجَ عَبْدُ بْنُ حَمْدٍ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ صَالِحِ ابْنِ الْخَلِيلِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » قَالَ :
« أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً » .

وَأُخْرِجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، وَابْنُ عَدِي عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ « قَالَ :

« إِنَّ أَعْيُنَ نَاسٍ بَكْثَرَةُ الرُّوَايَةِ ، إِنَّمَا الْعِلْمُ نُورٌ يَقْدِفُهُ اللَّهُ فِي
الْقَلْبِ »

وَأُخْرِجَ عَبْدُ بْنُ حَمْدٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ

« الْإِيمَانُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ بِالْخَيْبِ ، وَرَعْبٍ فِيمَا رَعِبَ اللَّهُ فِيهِ ،
وَزَهْدٍ فِيمَا أَسْحَطَ اللَّهُ ، ثُمَّ تَلَا : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ »
وَأُخْرِجَ عَبْدُ بْنُ حَمْدٍ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ :
« كَفَى بِالْمَرْءِ عِلْمًا أَنْ يَخْشَى اللَّهَ ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يَتَجَبَّرَ
بِعَمَلِهِ » .

وَأُخْرِجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ عَنِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« أَلَيْسَ عِلْمَانِ ، عَلِمَ فِي الْقَلْبِ فَذَاكَ الْعِلْمُ الشَّامِعُ ، وَعِلْمٌ عَلَى
اللسانِ فَذَلِكَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ » .

وأخرج ابن أبي شيبة عن حذيفة قال :

« يَحْسَبُ الْمَرْءُ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَحْشَى اللَّهَ »

وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :

« يَنْبَغِي لِخَامِلِ الْقُرْآنِ ، أَنْ يُعْرِفَ بَيْلَهُ إِذَا النَّاسُ بَائِمُونَ ، وَبَنَاهُ
إِذَا النَّاسُ يُفَصِّرُونَ ، وَبَحْرُهُ إِذَا النَّاسُ يَفْرَحُونَ ، وَيُكَايَهُ إِذَا النَّاسُ
يَضْحَكُونَ ، وَبَصْمَتِهِ إِذَا النَّاسُ يَحْلِطُونَ ، وَبَحْشُوعِهِ إِذَا النَّاسُ
يُحْتَالُونَ »

« وَيَنْبَغِي لِخَامِلِ الْقُرْآنِ أَلَّا يَكُونَ صَحَابًا وَلَا صَيَّاحًا وَلَا حَدِيدًا »

وأخرج الحطيب في المتفق والمفروق عن وهب بن ميه قال .
أقلت مع عكرمة أقود ابن عباس رضي الله عنهما ، بعد ما ذهب
بصره ، حتى دخل المسجد الحرام فإذا قوم يمترون في حلقة لهم
عند باب يسمي شبيه فقال

أمر بي إلى حلقة المراء ، فاصفقت به حتى أتاهم فسلم عليهم ،
فأرادوه على الجلوس ، فأنى عليهم ، وقال : انتسروا إلى أعرفكم ،
فانتسروا إليه ، فقال :

أما علمتم أن الله عبادة أسكتهم خشيته من غير عني ولا بكم .
إيهم لهم الفصحاء انطفاء السلاء العباء بأيام الله ، غير أنهم إذا
ذكروا عظمة الله طاشت عقولهم من ذلك ، وانكسرت قلوبهم ،

وانقطعت ألسنتهم حتى إذا استقاموا من ذلك سارعوا إلى الله بالأعمال
الراكية ، فأبى أنتم منهم ؟ ثم تولى عنهم : فلم ير بعد ذلك رجلاً
اشتغل الشيخ بالعلم والعبادة وعمل به علم ، فأفاده العمل صفاء
لعلم ، وأفاده صفاء العلم بحسن العمل !
ونكاتف في حياة الشيخ العلم النافع والعمل الزاكي فكان إماماً ،
وكان قدوة !

أصبح الشيخ قمة في كل العلوم التي يدرس في الأهر ، واتي
نع فيها في بواكير شبابه ، ثم زاده مر الأيام تحربة وصقلا ، وكان
همه الأكبر . هو تحريج جيل من العلماء الذين يتوافر فيهم الخلق
الكريم ، والعلم النافع ، وانصرف إلى ذلك انصرافاً شعله عن كثرة
التأليف ، ثم يبلغ في ذلك مبلغ الكثير أمثال حجة الإسلام الغزالي .
أو الإمام الشعراي ؟

ولقد سئل مرة أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه - وكان قمة
في العلوم الإسلامية . العلوم المكتسبة ، والعلوم البدنية . سئل .
لم لا تؤلف الكتب ؟

فقال : كئيب أصحابي .

أما الشيخ الحصى فإنه كان يمكن أن يقال له :

لِمَ نَمَّ نَكْثَرُ مِنْ تَأْلِيفٍ ؟

وكان من الممكن أن يقول مشغلتني تربية المريدين عن كثرة التأليف
يقول الجبرتي عنه

« ولم يعان التأليف لاشتغاله بالإلقاء والإقراء »

ويمكن أن تتضمن كلمة الجبرتي هذه بصائح الشيخ للمريدين
والأتباع والسير بهم - يتوفيق الله - في طريق الهداية

ومع ذلك فإن الشيخ احصى ألف مجموعة لا بأس بها من
نقائس الكتب .
لقد ألف :

١ - رسالة موحدة كل الإبحار في ضبط أسماء الذين حضروا
غزوة بدر من الصحابة ، وقد اقتضت الرسالة تقريراً - على
ضبط الأسماء ، وسماها « الثمرة النيرة في أسماء الصحابة البدرية » .

٢ حاشية على شرح الإمام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي
على متن الحمزية ، في مدح خير المهرية .

والحمزية قصيدة طويلة هي أصول قصائد لإمام البوصيري ، وهي
قصيدة البردة لنفس قصائد البوصيري .

وتبتدى المهرية بقول البوصيري رضي الله عنه

كف برحى ربك الأسياء يا سماء ما طاولتها سماء

لم يسأؤوك في علاك وقد ح ل ست ملك دونهم وساء

والمهرية هذه كلها درر ، ومن الخير أن يتدرسها التلامذة ،

وأن يحفظها عشاق الأدب الزهيع ، والمحبون لرسول الله ﷺ ، ومنها

ألف أسسك والعبادة والحد حرة طعلاً وهكذا الحياء

وإذا حلت الهداية قلباً شطت في العبادة الأعضاء

ومنها :

لا تَحُلْ حِجَابَ النَّبِيِّ مُضْمَا
كل أمر باب النبيين فالشد
لو يمس التضرع هوت من النا
ومنها :

رحمة كله وحزم وعزم
لا تَحُلْ البأساء منه عر الص
كرمت نفسه فما يحظر السو
ومنها :

لا تكذب أن اليهود وقد را
جحدوا انصطفى وآمن باطبا
قتلوا الأنبياء واتخذوا العج
وسفيه من ساءه المي رلسك
مُلفت بالحديث منهم بطون
لو أريدوا في حال سبت بحير
هو يوم مبارك قيل للتص
فظم منهم وكسر عدتهم

وقرب نهايتها يقول :

إد لا يحل الإحصاء
وهل تنزع البحر الركاء^(١)
إيمن معجزتك العجز عن وصفك
كيف يستوعب الكلام سجايك

(١) الركاء : جمع ركوة وعاء صغير

والهمزية لنعاستها - حاول الشعراء معارضتها : أى تأليف قصيدة على وزنهما ومن رويها وفي موضوعها ، وهكذا يفعل الشعراء الفحول ، بالنسبة للقصائد التى تسير فى العالم سرى الضوء ، لفصاحتها وبلاغتها ونفاة معانيها .

ومن خير من عارض هذه القصيدة أمير الشعراء : أحمد شوقي . وقد سمي قصيدته : الهمزية النبوية .

وهي قصيدة من نفاثس غرر شوقي مطلعها :

ولد الهدى ، فالكائنات ضياءُ	وفم الزمان تيسمٌ وثناءُ
الروحُ والملائكُ حولهُ	للمدين والدنيا بهُ بُشراءُ
والعرش يزهو ، واحطيره تزدهى	والمتنهي والمُتدرةُ العصماءُ
وحديقة الفرقان ضاحكة الربا	بالترجمان ، شذيةُ عناءُ
والوحي يقطر سلسلاً من سلسل	واللسوخ والقلمُ البديعُ رواءُ
نُطِمتْ أسامي الرُّسلِ فهي صحيفة	فى الروح ، واسمُ محمد طغراءُ
اسم الجلالة فى بديع حروفه	ألفٌ هالكٌ ، واسمُ (طه) الباءُ

ومها هذه الأبيات الفاحرة الجميدة الثاقبة الحسنة .

فإذا سَحَوْتُ سعتَ بالجود المدى	وفعلت ما لا تفعلُ الأنواءُ
وإذا عَفَرْتُ فقادراً ، ومقدراً	لا يستهين بعفوك الجُهلاءُ
وإذا رَجِمْتَ فأنت أمٌ ، أو أبٌ	هذان فى الدنيا هما الرَّحماءُ
وإذا غَضِبْتَ فأما هى عصاة	فى الحق ، لا ضيعن ولا بغضاءُ
وإذا رصيت فذاك فى مرضاتك	ورضى الكثير تحلُمٌ وبراءُ
وإذا خطبت فللمساير هجرة	تعرو النبى ، وللقلوب بكاءُ

وإذا قصيت فلا ارتياب ، كأنما
 وإذا حميت الماء لم يُرَدِّ ، ولو
 وإذا ملكك النفس قُتت برها
 وإذا سبت فخير رُوح عشرة
 وإذا صَحَّبت رأى الوفاء مُحَسَّنًا
 وإذا أُحِدْتَ العهد ، أو أعطيتَه
 وتمد جِلْمُكَ للسعيه مُداريًا
 هي كل نفس من سطاك مهانة
 جاء الحصور من السماء قضاء
 أن القباصر ولسوك ظماء
 ولو أن ما ملكك يدك الشاء
 وإذا أبتيت فلدنك الآباء
 في يردك الأصحاب والمخلطاء
 فجميع عهدك دعة ووفاء
 حتى يضيق بعرضك السفهاء
 ولكل نفس في بذاك رجاء

ومنها :

بك يا ابن عبد الله قامت سَمْحَةٌ بحق من يَلِلُ الهدى غرءُ
 بُيَّتْ عى التوحيد ، وهي حقيقة نادى بها سمرط والقدماء
 وقد شرح قصيدة اهمرية لبوصيري رضى الله عنه كثير من الكتاب
 ومن شرحوها العام الكبير لإمام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي
 ويقول عنها .

قصيدته اهمرية المشهورة العدة الألفاظ ، الحرة الماني ، العجبة
 الأوصدع ، البديعة المعاني ، العديدة لتطير ، البديعة التحرير ، إذ لم
 يسمح أحد على سموها ولا وصل إلى حسنها وكما ، حتى لإمام البرهان
 القبراطي المولود سنة ست وعشرين وسبعمائة وانتوى سنة إحدى
 وثمانين وسبعمائة فإنه مع حلالته وتصعه من العلوم الثقيلة ، والعقبة
 وتقدمه على أهل عصره في العلوم العربية والأدبية لا سيما علم البلاغة ،
 ونقد الشعر ، وإتقان صعبته ، وتتميز خلوه من مره ، وبهائته من بدايته ،

أراد أن يحاكيها ففاته الشنب^(١) ، وانقصت به الحيل ، عن أن يسغ من معرصتها أدنى أرب ، وذلك لطلاوة نظمها ، وحلاوة رسمها وبلاغة جمعها ، وبراعة صنعها ، وامتلاء الحافقين بأوار جمالها ، وإدخال دعاوى أهل الكتائب يراها جلالها فهي دون نظائرها ، الآخرة بأرمة العقول والجامعة بين المعقون والمقول ، وإحاوية لأكثر المعجرات والحاكية لشمائل الكريمة على سنن قطع عنق أفكار الشعراء عن أن تشرئب إلى محاكاة تلك المحكيات .

وامرية البوصيرية التي شرحها ابن حجر الهيتمي ، والتي كتب حاشيتها الشيخ الحفي موصوعها مدح رسول الله ﷺ ، وعن مدح رسول الله ﷺ يقول الهيتمي .

« نعم يتعين على كل مكلف أن يعتقد أن كمالات نبينا ﷺ ، لا تحصى ، وأن أحواله وصفاته وشمائله لا تستقصى ، وأن حصائمه ومعجراته لم تجتمع قط في مخلوق ، وأن حقه على الكمل ، فضلاً عن غيرهم أعظم الحقوق ، وأنه لا يقوم بعض ذلك إلا من يدل وسعه في إجلاله وتوقيره وإعظامه ، واستجلاله مسافه ومآثره وحكمه وأحكامه ، وإن المادحين حنائه العلى ، والواصفين لكمالته العلى ، لم يصلوا إلا إلى قل من كل ، لأحد لنهايته ، وعيوض من فيض ، لا وصول إلى عايته ، ومن ثم كان أبلغ بيت هذا لطبع^(٢) الآننى كما تعلم مما يأتى فيه ، وفقى بردة المديح .

(١) الشنب عدوية الأسنان وحسبها (قائمة جمال النعم)

(٢) مطبع الميرية هو

كوب توتى ريك الأنيبه يا سماء ما طاولتها سماء

فإن فصل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه نطق يفهم

ثم يليه :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

ثم يليه :

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم
فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يذائوه في علم ولا كرم

فهم مقصرون عما هناك قصرون عن أدء كل ما يتعين من
ذلك كيف رأى الكتاب مخصصة عن علاه بما يبهر العقول
ومصرحة من كل صفاته بما لا يستطاع إليه الوصول وقد قيل
ماذا عسى الشعراء اليوم تملحه من بعد ما عذحت حم تنزيل

فعلم من ذلك أنه لو بالغ الأولون والآخرون في إحصاء مناقه
لحجزوا عن استقصاء ما حباه به مولاه الكريم من مواهبه ، ولكن
المسلم بساحل نحرها مقصراً عن حصر بعض فخرها ؛ ولقد صبح
لحميه أن يشدوا فيه :

وعلى تفتن واصفيه بوصفه بقلبي الرمان وفيه ما لم يوصف

وإنه لتحقيق بقوله القائل :

فبليت كف امرئ متاولاً من المجد إلا والذي نال أطول
ولا يبع المهدون في القول مدحة ولو حذقوا إلا الذي فيه أفضل

ولا بن خطيب الأندلسي .

مدحتك آيات الكتاب وما عسى يشي على عيبك نظم مديحي
وإذا كتاب الله أثني مفصلاً كان القصور قصار^(١) كل فصيح
ويقول الشيخ الحفني في ابتداء حاشيته :

« بسم الله الرحمن الرحيم : حمداً لمن جعل أحبابه أدلاء على
سبيل الهداية ، وأمدهم بومع الأنوار وسوطع الأسرار في السيرة
والنهاية ، وصلاة وسلاماً على صاحب الرتب العلية ، وعلى اله وأصحابه
كثور المعارف الإلهية

وبعد . فيقول فقير المعنى عبد موله محمد الحصري

هذه حواشي تفوق نفائس الدرر على شرح « الهمرية » ، للعلامة
الشهاب ابن حجر ، جاد بها الكريم الوهاب ، أمام قرعتي المن ،
ومطالعتي عليه هذا الكتاب صاعف الله لي ومؤلفيهما الأجور . إنه
حواد كريم غفوراً » أهـ

وحاشية لشيخ الحصري تنح في الغالب الأعم إلى السحية الدعوية ،
وبدل ذلك دلالة واضحة على تمكن الشيخ نمكاً عميقاً من انحاب
الدعوى ، ولكنه من آن لآخر يتحدث عن الانحاب الروحي ، وعن
آراء تتصل بالتصوف ، ونحن هـ نعطي بعض الأمثلة هي مسائل
دلت أهمية ؟

يقول الإمام البوصيري في همرته :

بيته حصني بروية وجهه ران عن كل من رآه الشقاء

(١) جهده وغاية

ويتحدث الإمام الحصى عن ذلك فيقول :

« بأن يرى روحه الشريف المتشكلة شكل جسده الشريف انطلقت
الانطلاق الكلي ، أو جسده الشريف ، فيه حتى في قبره ، ولا
مانع من إكرام الله بعض عبيده برفع الحجب بينه وبين رسول الله
ﷺ ، فيراه في قبره ، وإن بعدت ديرة ، فليس المراد برؤيته يقظة ،
أنه يخرج من قبره بروحه وجسده ، ويصلى في الأسواق ، ويأتي
لمكان الرائي ، ويحفي عن لم يرد الله له رؤيته كالدلائكة ، وإنما
المرد أن الحجب تزول حرقاً للعادة ، بأن تجعل تلك حجب كالرجاج
الذي يحكي ما وراءه فيراه أولياء الله معين بصرهم مع كونه في
قبره ، ويخاطبونه ويسألونه عن أشياء ، ويجيبهم ويسمعون ، وإن
بعدت أماكنهم ، لأنه حتى في قبره .

(قوله بخ بح) فيه لعتان إسكان الحاء وكسرها موبنا وهي
كلمة تصق لتصحيح الأمر وتعظيمه في الحير اهـ شرح مسلم
للتنوير .

وقال في الصحاح هي كلمة تقال عند المدح ، والرصد بالشيء
وتكرر بالمبالغة فيقال بخ بخ ، فإن وصلت خفضت ونوت ،
نقت بخ بخ ، وربما شددت كالاسم اهـ .

وقال هروى في غريبه ، وسكنت الحاء كما سكنت في « هل »
و « بل » ويقال بخ بخ بالخفض موبنا ، فمن فعل ذلك شبهها
بالأصوات « كصه » وما شبه ذلك وقال ابن السكيت « بخ
بح » « وبه به » لا بمعنى واحد اهـ

(قوله هذا الناموس) هو صاحب سر الحير ، والناموس .
هو صاحب سر الشر ، ولم يقل الناموس لدى أنزل على عيسى ،
مع قرينه ، وحكمه بشريعته بعد نزوله ؛ لأن ورقة كان نصرايا ،
والنصارى لا يقوون فى عيسى : « إنه بنى » يأتيه الوحى ، وإنما
يقولون إن أقومًا من الأقباس الثلاثة ، حل فى ناسوت المسيح .
وهو أقوم الكلمة . ولكمة عندهم عبارة عن « العلم » فلذلك
كان المسيح عندهم يعلم العيب ، فدب عدل إلى ذكر موسى لاعتقاده
أن جبريل كان ينزل عليه ، وأيضا موسى متفق على بوته عند أهل
الكتابين ، وأما عيسى فكثير من اليهود يكرون بوته .

(قوله مسيلمة لكذاب العين) ويروى عن اللعين ، أنه قيل
له : إن محمدا إذا تغل فى الماء الملح صار عذبا ، فهلا تتغل فى
هذا الشر الملح فيصير عذبا مثله ؟ فتغل فيه ، ففار ماؤه ، وأتى له
بأعور ، فدعا الله تعالى أن تعود له عينه العوراء . فغرت الصحيحة ،
فقيل ما هذا ؟ فقال إن محمدا بعث بالعمار ، وبعثت بسحراب ،
وقد أنزل الله تعالى فيه ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ (١)
آية . وقتل فى أيام أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه رمن
حلافته لما عزز اليمامة ، وقتله وحشى قاتل حمزة بن عبد المطلب ،
قال قتلت محرتى حير الناس ، وقتلت بها شر الناس ، يعنى مسيمة
ويعنى يحير الناس حمزة رضى الله عنه ولعل الله أن يكفر هذا بذلك .
قوله لكن كلمه ظهر ، مما قيل فى معنى النص ، والظاهر أن

(١) الصفح ٧٦

ظاهر الكلمة لفصها ، وباطنها تأويلها ، ومنه أن القصص التي قصها الله عن الأمم الماضية ، وما عقبتهم بها ظاهرها ، لإحار بهلاك الأولين وباطنها ، وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا كعملهم فيحل بهم مثل ما حل بهم ، ومنه أن ظاهرها ما ظهر من معانيها ، وباطنها ما تضمنته من الأسرار التي اطلع عليها أرباب الحقائق ؛

وقوله : وحده ، أي أحكام أحلال والحرام ؛

وقوله : ومقطع سبق قدم ، والظاهر بدله مطبع أي إشراف على الوعد والوعيد : كذا في الإتقان .

(قوله الأب والابن إلح) إنما ياسب هذا لو قال الشارح أن الله أجزاء ثلاثة . وأما قوله أن الله ثالث ثلاثة إنما ياسب أن يقول بعده ما في الجلائين من تفسير قوله إن الله ثالث ثلاثة ونص ما فيهما . أي آله ثلاثة ، أي أحدهما ، والآخرا عيسى وآمه ، وقد يقال هذا ظاهر على ما ذكره السباطي يريدون بالأب الوجود ، والابن العسم ، وبروح القدس الحياة ، والذي ذكره الحارث في تفسيره الأقدم م ملخصه أن أقوم الأب : ذات وأقوم الابن . عيسى ، وأقوم روح القدس : الحياة الحالة فيه أ هـ .

وفيه أن الحياة الحالة في عيسى ليست إياها حتى يكون مذكوره الحزب مناسبا لما في الشرح أنهم ، إلا أن يقولوا إن الحياة المذكورة إله ، وحيث قطهر مناسبته لما في الشرح ، تأمل ، وحيث فعبارة السباطي وقول الشارح الأب إنما بيسان قول فرقة أخرى من أهل الضلال : إن الله مركب من أقانيم ثلاثة : الأب والابن وروح القدس المبينة في شرح السباطي وهذه لفرقة هي السننورية من الصاري ،

ويقولون أيضًا إن المسيح ابن الله والفرقة القائلة بأن الله ثالث ثلاثة
المبينة في لجلالين وهم المرقوسية وهم نصارى نجران

(قوله نسطورية) بضم النون وفتحها أصحاب نسطور الحكيم
الذى ظهر في زمن النامون وسرق في الإنجيل برأيه وقال : إن الله
واحد ذو أقديم ثلاثة وأن المسيح ابن الله ، وقوله . ويعقوبية ، أصحاب
يعقوب راهب القسطنطينية ، قالوا : إن المسيح هو الله هبط إلى الأرض
ثم صعد إلى السماء وقوله : « وملكيه ، أصحاب ملكان لذي ظهر
بيلاد نروم ، قالوا . المسيح عبد الله ونبيه كذا في البيضاوى في سورة
مريم (١) عند قوله ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ الآية .

زيد الثعالبي ، والمرقوسية وهم نصارى أهل نجران ، قالوا : الله ثالث
ثلاثة والآحران عيسى وأمه وميائى أن الناظم أشار لفرقة خامسة بقوله .
« أم أردتم » بها الصفات كما في شرح السباطى على ما يقتضيه طاهر
عبارته ، وسيأتى نقلها هناك ، وإمكان رد مذكره مذهب اليعقوبية .
قوله . إن مثل أهل بيتى إنخ ، وما أظف قول بعضهم يباح
أهل البيت

يا بحر الندى أأخشى وأنتم سفن للتجاة يوم المعاد
لست أأخشى يا آل أحمد دينا مع حبي لكم وحسن اعتقادى
قوله لأن الله ورسوله أشيا .. الخ ، والله در شيخنا العلامة
الشبراوى . من قصيدة يمدح بها آل البيت :

قال لي قائل رأيك نهوى آل طه ودائمًا تجنيبهم
 إن حفا عليك تستعرق العم ر مديحًا فيهم وفيمن يليهم
 قلت ماذا أقول والكون طرًا يستمد العطاء من ناديهم
 أنا لا أستطيع أمدح قومًا كان جبريل خادماً لأبيهم

وفي نهاية الحاشية يقول الشيخ الخفنى :

وهذا آخر ما من به الملك الوهاب ، وإليه سبحانه وتعالى المرجع
 والمآب نسأله من فضله أن يجعلها هداية نافعة لكل قلب منيب ،
 كاشفة ظلمات الأوهام عن كل صب مصيب ، والحمد لله رب
 العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين ، حقيقة الصلوات ،
 وروح الكلمات ، محمد جامع الإجماع الذاتى القرآنى ، حاوى
 التعصيص الصفاتى الفرقانى ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأحبابه ؛
 ثم يقول رحمه الله معبراً عن الرمز اسدى فرع فيه من تأليفها
 قال جامعها حفظه الله وكان الفراغ من تعليقها يوم الأربعاء ،
 عره شعبان سنة سبعين ومائة وألف من هجرة أشرف المرسلين عليه
 أفصل الصلاة والسلام . وسأل الله من قصده حسن الختام ، ولا حول
 ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

سبق أن كتبنا عدة مرات عن « الطريق الصوفى » ، فى عدة
 من كتبنا ، والطريق الصوفى نوعان :

١ - نوع خاص بكل طريقة .

٢ - نوع عام يلتزمه كل الطرق

والنوع الخاص . هو الطريق الذي اتبعه شيخ الطريقة ، فوصل به إلى القرب من الله تعالى ، ولذلك فهو يرسمه لأتباعه ومريديه ، وما كان يتأتى غير ذلك ؛ إذ أنه - وقد وصل إلى القرب عن طريق معين - يرى قيادة أتباعه في هذا الطريق ؛ وخصوصاً وأنه لا يعرف غيره .

ومن هنا كان اختلاف الطرق ، ولكنها كلها تنتهى - على اختلافها - إلى القرب !

والقربُ في العرف الصوفى . هو التوحيد ، والتوحيد واحد ومن هنا يقول الإمام الشبلى . بدوّه . معرفته ، وبهايته توحيدته ، ومن هنا يقولون عبارتهم المشهورة .

« التوحيد واحد » والطرق إلى الله كنفوس بى ادم !

ويقول ابن سينا فى ذلك عن الطريق الصوفى ، ر عن الصوفى فى سيره : « جُتِّه إلى الواحد ثم وعوف » !

أى أن العاية التى ينتهى إليها الصوفى هى التوحيد ، والتوحيد هو مركز الدائرة للجميع ، وهم يشبهون الطرق بدائرة ، وهذه الدائرة ها بالضرورة محيط ومركز ، ومن المحيط تخرج خطوط تصل إلى المركز ، وهذه الخطوط فى مبدأ خروجها من محيط الدائرة تكون متباعدة شيئاً ، أو كثيراً ، ولكنها فى سيرها نحو لمركز تتقارب باستمرار حتى إذا ما وصلت إلى المركز انحدت !

والمركز : هو التوحيد ، والخطوط هى الطرق

بيد أن هذه الطرق يشترط معها أن يسير من مبدأ إلى النهاية

فى إطار لتعاليم الدينية ، فإذا ما انحرفت ، فقد خرجت عن أن تكون طريقة ، وعن أن تكون تصوفاً .

والتصوف يتكون من هذين لعصرين الطريق والغاية
والطريق وحده لا يسمى تصوفاً ، والغاية وحدها لا تنأتى
إلا بالسير ، والسير لا يكون إلا فى ضوء الدين ، وفى أنوار الوحي .
هذا عن الطريق أشخاص

أما عن الورع العام الذى تلتزمه كل طريقة ؛ فهو ما يسمى
بالمقامات ؛ التى تتج عنها الأحوال

والأحوال : وإن كانت ثمرة للمقامات ، فإنها تكون - أيضاً -
استشرافاً إلى مقام أعلى ، فهى إحد نبرة وتوجيه إلى ما هوسمى
بالتوبة مقام ، أول للمقامات ، وفى مقام التوبة أحوال ، أى المقامات
سريعة عابرة توجه إلى الصديق فى التوبة ، وتستشرف إلى مقام الورع
وهو من شئ فى أن الإنسان يتسامى فى التوبة نفسها من سام
إلى أسفى ، فهناك التوبة عن كبائر الذنوب ، ثم التوبة عن صغائرها ،
ثم التوبة عن اللحم ، ثم التوبة عن الحواطر السيئة ، ثم التوبة عن
الغفلة ، ثم التوبة عن النفس . وهكذا ! وفى أثناء « الأحوال »
الحاصلة بالتوبة تمر بالإنسان الأحوال الموجهة إلى الورع ، وتستمر
الأحوال الموجهة إلى الورع تفرغ الشعور مستشرفة إلى الورع ،
حتى يصبح الإنسان ورعاً

فإذا كان مقام الورع أحدث الأحوال تتوالى دقة فى الورع نفسه ،
واستشرافاً إلى مقام . نرهد ، وتستمر الأحوال فى تسامى فى الورع ،

وفي استشراف إلى الزهد ، حتى إذا ما تمكّن الإنسان في مقدم الورع ،
أحدث به الأحوال حادثة وموجهة إلى مقام الزهد .. وهكذا !
هذا النوع العام من الطريق هو في جوهره النوع الأخلاقي ،
أسى ما تكون الأخلاق

يبدأ أن السوك الظاهري ، واضح في المراحل الأولى : إنه واضح
في الإقبال على الأشياء ، وفي الانتهاء عنها ، واضح في الإيجاب
والسلب ، في الأحد والترك ويضاحيه في ذلك الجانب القلبي
فيذا ما تقدم الإنسان في الطريق ، فوصل إلى التوكل ، الذي
هو في حقيقة الأمر أول المقامات الصوفية الأصيلة ، كان الشعور
القلبي هو السب والجوهر .

ولقد سار أبو الأنوار في الطريق الخاص ، وسار في النوع العام
ومستحدث بتوفيق الله عن الأمرين عنده ، وبشدة بالطريق الخاص
وطريق أبي الأنوار الخاص هو الطريق لخصوي . لقد كان
أبو الأنوار خلوتياً في بهجه الصوفي العام

ولكنه كان من سعة الأفق ، ومن رحابة الصدر ، ومن التمكن
في الولاية ، بحيث يروى عن كدر الصوفية من أية طريقة كانوا
ويشئ عليهم وينقل عنهم .

إنه مثلاً ينقل عن أبي العباسي «برسي» ، - رضى الله عنه -
قوله : « جلت في الملكوت ، فرأيت أبا مدين معقاً بساق العرش .
فقلت ما مقامك ؟
قال : رأس الأبدال . »

قلت : فلشاذلى ؟

قال : ذاك بحر لا يحاط به !

وسنرى إلى شاء الله حينما نتحدث عن مقام « المحبة » إنه ينقل عن الشاذلى رضى الله عنه كثيراً من الكلمات الجميلة انميسة ، التى تتعلق بالمحبة ، ويكاد يقتصر على ما قاله الشاذلى فى ذلك . ثم إنه كتب حاشية على همزية الإمام البوصيرى والإمام البوصيرى شاذلى الطريقة .

لم يكن الخفى يتحرج من أن يمدح الأولياء ، أو ينقل عنهم ، أو يشرح كلامهم .

وعدا شأن كل من وصل إلى الولاية الحسنى

وذلك أن من وصل إلى القرب من الله سبحانه فقد وصل إلى التوحيد - مركز الدائرة وفى التوحيد تلتقى كل الطرق ، وتمتدح وتأتلف وتصبح وحدة .

إنها إذا افرقت فى المبدأ فيها تتقارب كلما قربت من الله تعالى - من التوحيد - وبمقدار قربها من التوحيد يكون تقاربها حتى إذا انتهت إلى الواحد أصبحت واحدة . وفى هذه المنزلة يكون الولي شاذلياً ، وأحمدياً ورفاعياً وقادرياً وما شئت من فرق ومن أجل ذلك فإن كبار الأولياء أخوة متحابون فى الله ، يعصون جميعاً لهداية الحق إلى الحق ، باتباع إمامهم المعصوم صلوات الله وسلامه عليه .

ووصل الآن إلى رسم طريقة أبى الأنوار الخاصة مستدئين معها من شأئها وإذا أراد الله أمراً هياً له أسبابه

ومن الأسباب المباشرة لاندفاع أبي الأنوار في أضواء التصوف :
أن وفقه الله إلى شيخ صادق

ومسألة الشيخ الصادق لها أهميتها الكبرى في طريق القوم ومن
توفيق الله أنه :

في سنة ١١٣٣ حضر إلى القاهرة الأستاذ الكبير العارف بالله
الشيخ مصطفى الكري ، وكان للشيخ مصطفى شخصية قوية . علم
عزير ، وعبادة لا تفتقر ، ومصدق جداب ، وبضرات نفادة ..

وكان له هبة ، وكان له مع الهبة حاشية تجعل المرء ينطق
به ، ويتجهون إلى الله على يديه تائبين منيبين ، وتتغير حياتهم في يوم
وليلة من معصية إلى طاعة ، ومن انحراف إلى استقامة . وهكذا حياة
أولياء الله :

إنها في ليالهم وبهارهم هداية إلى الله ، ودعوة إلى سبيل المؤمنين .
أما عن التعريف بالسيد الكري ، فهو :

« مصطفى » يقول عنه العارف بالله الشيخ عمر الشبراوي رضي
الله عنه : « علم على المصنف ، وهو من أسمائه ﷺ ، ومعناه
المختار ، مأخوذ من الصعوبة وهي الخلوص ... » .

ابن « كمال الدين » ويقول عنه العارف بالله الشيخ الشرقاوي
رضي الله عنه :

وكان رضي الله تعالى عنه عالماً صالحاً ، قليل لاختلاط بالناس ،

كثير لأوراد ، نشأ متعباً ، مصاحباً للعبادة ، وأخذ العلم
عن أشياخ كثيرين :

« ابن علي » . يقول الشيخ الشرقاوي كان صاحب أخلاق
مرضية ، وقلب سليم ، وممن شهد له بالفصل . العارف بالله الشيخ
عبد العلي النابلسي وأحد طريق النقشبندية عن العارف المحقق
الشيخ الكردى اللارى ، وطريق الخلوتية عن العارف بالله قرة باش
علي أفندي .

ابن كمال الدين : يقول العارف عمر الشيراوي : لقب وصح
علما علي والد جد المصنف ، وقال العارف الشرقاوي نقلاً عن الثقات :

إنه كان شافعي المذهب ، تقياً ، ديباً ورعاً ، علي أثر أسلافه ،
هساً ليناً ، لطيف الصفات ، حس الخلق والحق . يتقرب كثيراً
بصلة الأرحام ، ويتودد بقلوب الحوص والعوام .

ابن محيي الدين : يقول الشيخ عمر الشيراوي

لقب لحد جد المصنف ، وسمه . عبد القادر بن محمد بدر
الدين وكان شافعيّاً ، وكان عالماً ، ورعاً تقيّاً ، علي أثر
أجداده ، رضى الله عنهم أجمعين . وينتهي نسبه من جهة أبيه ،
إلى الصديق رضى الله عنه ، فهو بكرى نسة إلى حبيبة رسول الله
ﷺ .

أما من جهة أمه . فإن نسبه يتصل بمولانا الإمام الحسين رضى
الله عنه .

ومن جهة ثم حده أحمد زين الصديقي فإن سبه يتصل
بمولانا الإمام الحسن رضي الله عنه فهو بكري^(١) حسنى حسيني .

(١) وعن الشيخ مصطفى الكري يقول صاحب كتاب الأعلام ما بين - مصطفى بن
كمال الدين بن علي الكري الصديقي، الحلوتي طريقة، احنى مذهباً، أبو المواهب متصرف ،
من الصفاء ، كثير الرحلات والتجارب والنظم، ولد في دمشق ، ورحل إلى القدس سنة
١٠٢٢ هـ ، وزار حلب ، بغداد ، ومصر، والفلسطين والحجاز ، ومات بمصر.
وأيت من كتبه :

مجموع رسائل رحلاته (خ) في مجلد كبير أكثره بخطه ، ويشتمل هذا المجموع على
الرسائل الآتية :

العمرة المحمية في الرحلة القدسية
الخطوة الثانية الأسيية للروضة الدانية القدسية
برق السقام في ريادة برقة ولقغام ،
مع برق المقصود العوا في ريادة حسن الراعي ورويه عبد العال
الحلة الدهية في الرحلة الحلية
التحله النصرية في الرحلة المصرية
رحلة الحقيقة لا الحجازية في الرحلة الحجازية
أردان حلة الإحسان في الرحلة إلى جبل لبنان
رحلة للروضة الإنجليزية الدانية في الرحلة الحجازية الثانية
الحلقة الرسانية الإنجليزية الدانية في الرحلة الحجازية الثانية
العراس القدسية المفصلة عن السائس المسبة
وهي تزيخ المرادى أسماء كتبه كلها ، منها
والسيوف الخلد في أعناق أهل التندة والإخاد (ط)
والسيرة لائحة للآثار ، في الصلاة على خير الأنام (ط)
والمورد العصب لسوى الورد في كتف معنى وحدة الوجود (خ)
رسالة والصلاة الجامعة (ط) في خصائل الخلفاء الأربعة
والفتح القلبي (ج) أدعية +
وبلغة لمريد (ط) الرجوة في التصوف ٢١٣ بيتاً .
وأرجوة في السائل (خ)

وهو نظم كثير وقصائد جملة خارجة عن الدواوين تقارب اثني عشر ألف بيت^(١) .

وطريقته كما قلنا « لحلوتية » وفي ذلك يقول العارف بالله الشيخ عمر اشبراوى وهى طريقة العارف بالله تعالى ، الشيخ الجنيد رضى الله عنه التى سبكها ، أى المصنف ، على يد شيخه الشيخ : عبد اللطيف الحلبي ، وأجاره بالإرشاد قبل وفاته بمستين أو أكثر ، ثم بعد وفاته أحضره الشيخ عبد العزى النابسى بطريقة القادرية والنقشبندية ، ذكره المصنف فى الشرح الكبير للورد ، والمصنف الذى يعنيه هو الشيخ مصطفى البكرى بعنه .

= والتواصى بالصبر ، اخت (ـ) تصادف

(وشرح القصيدة المنفرجة (خ)

وعوائد الفرائد (ط) مظلومة فى العقائد .. شرحها الدردير .

واللمحات (ط) فى صواب ابن مشيخ

ومظلومة الاستعصار (ط) مع شرح لها .

والنهى العذب السالغ لرواه ، فى ذكر صلوات الطرق وأوراده (ط)

لمرادى ٤ . ١٩٠ ٢٠٠ ، وفيه : بعض مؤلفاته ٢٢٢ ما بين مجلد وكراستين وقل وأكثر

(١) والجبرتي ١ : ٢٦٥

رجامع كرامات الأولياء ٢ : ٢٥٤

وبيت الصديق ١ : ١٥٥

وفهرس المهارم ١ : ١٥٩

والتيهورية ٣ : ٣٧

ومعجم المطبوعات ١ : ٥٨٢

وكتابه الأخير « المنهل » من مخطوطات خزانة السيد أحمد عيسى .

ذكره فى لآلة الشهات ١ : ٢٢١

وانظر مخطوطات الظاهرية ٦٩

وفهرس المؤلفين ٢ : ٣٠٠

وإنما مذهبه فإنه المذهب الخنفي .

يقول الشيخ حسن شمة ، عن السيد البكري : بشأن بيت المقدس على أكرم الأخلاق ، وأكملها ، وأحسنها وصفاً ، وأعدلها .

رباه شيخه الشيخ عبد اللطيف الحلبي المتقدم ذكره في الطريق وعداه بلبان أهل المعرفة والتحقيق ، ففاق ذلك الفرع الأصل ، وطهرت به في الأفق شمس الفضل ، فبرع فهماً وعلماً ، وأبدع نثرً ونظماً ، ورحل إلى جل الأقطار ، سلوع جل الأوطار ، كما دأب على ذلك السلف ، لما فيه من اكتساب لمعان والشرف ، وفي مرحته إلى « إسلامبول » ، بس فيها ثياب الجمول ، ومكث فيها سنة ، لم يؤذن له برتحال ، ولم يدر كيف الحال ، فلما كان آخر السنة قام ليلة ، فصلى على عادته من التهجد ما شاء الله أن يصلي ، ثم جلس لقراءة الورد السحري . وفي نهاية تلك الليلة أذن له بالرحيل

ويقول أيضاً ورحل أيضاً إلى « جبل لبنان » وإلى « البصرة » و« بغداد » وماوالاهما وحج مرات .

وكان الشيخ البكري مكثراً في التأليف ، وعن ذلك يقول الشيخ حسن شمة وبألفه تقارب المائتين ، وحزابه وأوراده أكثر من سنين ، وأجلها ورده السحري ، يد هو باب قواعد الفتح ، وله عنيه ثلاثة شروح ، أكرها في مجلدين ، وقد شاد أركان هذه الطريقة ، وأقام رسومها ، وأبدى فوائدها ، وأظهر فرائدها ، ومنحه الله من حزائنه العيب ، مالا يدخل تحت حصر

ولكن رغم كثرة التأليف ، فإن الشيخ البكري حين يذكر ، مباشرة ورد « سحر » وإذا ذكر ورد « سحر » يذكر مباشرة الشيخ البكري

وهو حقاً ورد مبارك . شرحه الشيخ الكرى نفسه ثلاثة شروح
كما سبق ، وشرحه كثير غيره ، ومن حيار الدين شرحوه . الشيخ
اشرفاوى ، والشيخ عمر الشراوى رضى الله عنهما
وفى مقدمة هذا الورد يقول الشيخ الكرى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أورد من أراد المقام المورود ، وحصى أهل الأوراد
العباد بفتحات الجود ، وسحهم من الوردات الإلهية مارقاهم ، به
إلى منازل السعود . أحمده على ما فصل به من ملارمة الأوراد ،
مع كمال الأدب والشهود وأصلى وأسلم على الحبيب الشاهد المشهود ،
صاحب المقام المحمود ، والنوإ المعقود ، الذى عرفنا ما نقول من
الأذكار فى المقام والركوع والسجود ، ﷺ وعلى آله وأصحابه ،
دوى المنهل المقصود ، وعلى لتابعى هم بإحسان إلى يوم الدين ما اهتزت
من الأغصان قدود وسلم تسليماً كثيراً ما دام الوجود .

أما بعد . ناعم أيها المريد الملازم على اقتطاف أزهار الأوراد ،
من رياض الأمداد ، فى حصرات الإسعاد أنى لما رأيت النوص
متعشقة فى ذلك ، رغبة فيما هانت ، تشوير المسالك : تمنى لى
أن أصنع لإلحوان ورد يقتبسون من نوره عجائب فى حدس
الأوهام^(١) ، ويتلقون من تفريد شمروره^(٢) عرائب تدق على الأفهام ،

(١) ظلمات الأوهام .

(٢) أى تفريد طائر معروف بحسن صوته

فشرعت في ذلك معتمداً على السيد امالك ، فأقول في ترجمته ،
راجياً فيض فضله وامتته :

هذا ورد بين في السحر ، نافع ، إن شاء الله تعالى - لمن واطب
عبيه ، مع التدبر بعانيه ، والتفهم لمبانيه ، فتح به على العبد الفقير ،
والعاجز الخفير : مصطفى بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن محيى
الدين . الصديقى نسباً ، المخلوطة طريقة ، الحصى مذهباً وكان ذلك
في أوائل شهر ربيع الأول ، أيام زيارتنا لبيت المقدس ، وكمل في
مجلس لطيف ، وأضفت إليه عدد دس قصيدة ميمية ، فتح على بها
سابقاً ، وصلوات على النبي ﷺ . زدتها الآن ، وقصيدتي التي
سميتها « بانهججة في الطريقة المسجدة ، لى على ورد » امصرجة »
ورده بعض توسلات ، وقد رتبته على حروف المعجم ، في أوائل
توسلاته ، ليكون ذلك أسهل في حفظ كلماته ، والله أسأل أن ينفع به
من لازم تلاوته ، ولم يحل مصنفه من دعواته ، إنه من مناديه ، على
الخصوص في الأسحار ، بلسان الدل والانكسار فإنه لا يزال معمرراً
بآلئه رأياه - فأقول أول ما يبدأ التلى بقوله أعود بالله من الشيطان
الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم . وتقرأ المائحة مرة ، وأوائل سورة
البقرة . إلى قوله تعالى . ﴿ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(١) ، ﴿ وَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(٢) وآية الكرسي إلى قوله تعالى . ﴿ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴾ ^(٣) وحواتيم البقرة ، ويكرر ﴿ وَاَعْفُ عَنَّا وَاعْفُ لَنَا وَارْحَمْنَا ﴾

(١) نقرأ خمس آيات من أول السورة

(٢) الآية ١٦٣ - من سورة البقرة .

(٣) أى الآيات : من ٢٥٥ - ٢٥٧ البقرة

(ثلاثاً)، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾^(١) .. إلى آخرها ويكرر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى آخِرهَا﴾ (سبعاً) ، وسورة الإخلاص (ثلاثاً) والمعوذتين : مرة مرة ، ثم يقول : أستغفر الله العظيم (سبعين مرة) ثم يقول أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم بديع السموات والأرض وما بينهما من جميع جرmy وطمى وما جيت على نفسى وأتوب إليه (ثلاثاً) ، بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم (ثلاثاً) .

ثم يتوالى الورد بحسب ترتيب الحروف الهجائية ففى حرف اثناء مثلاً يقول :

إلهى تولّى باهداية ولرعاية والحماية والكفاية ، إلهى تب على توبة بصوحا لا أنقض عقدها أبداً ، واحمظى فى ذلك لأكون من جملة السعداء .

ويقول فى حرف الدال :

إلهى داوى بدواء من عندك ، كى يشتفى به ألى القبى ، وأصلح مسى ي مولاي ظاهرى ولبى ، إلهى دلى عن من يدلى عليك ، وأوصنى إلى من يوصلنى إليك .
ويقول فى الميم :

إلهى غص ذنبها بظهور آثار اسمك الغمار ، واه من ديوان الأشقياء شقينا ، واكتبه عندك فى ديوان الأنجبار .
يقول : جاء الشيخ مصطفى الكرى إلى القاهرة تسبقه أنواره ،

(١) الآيات الأخيرة من سورة التوبة

وكان الشيخ محمد الحصى - إذ ذك - قد بلغ من العمر ثلاثاً وثلاثين سنة ، ويقول الشيخ حسن شمة : قدم السيد البكرى من اشام عام ثلاث وثلاثين ومائة وألف ، فكان بمصر رجل من تلامذة السيد هو السيد عبد الله السلمى ، فأراد الشيخ الحصى الاجتماع بالسيد البكرى ، فسأل السيد عبد الله المذكور أن يجمعه به ، فوجه معه إليه ، فسلم عليه ، ثم جلس ، فجعل السيد ينظر إليه ، وهو كذلك ، ينظر إليه ، ومال كل يقلبه جهة الآخر ، وحصل بين القيين ارتباط وتعارف على ما أشير إلى ذلك بقوله عليه السلام : «الأزواج حُودٌ مُحَنَدَةٌ» الحديث ثم إنه قام ، وحسن بين يدى مولانا السيد البكرى ، بعد طلبه للانتظام فى سلك طريقته ، فأخذ عليه العهد حالاً ، وكانت عادة السيد إذا أراد أحد الأُحد عنه أمره بالاستحارة قبل ذلك ، وهو لم يأمره بها ، فعنه إشارة إلى شدة الارتباط ، وحين أخذ عنيه قيل لبعض علماء عصره ، وهو الشيخ العام العلامة البحر الفهامة : الشيخ مصطفى العريزى ، إن الشيخ الحساوى قد أخذ طريق الفقهاء ، ومراده يذكر الله تعالى ، ويشتغل عن العلم يريدون بذلك لومه على ما وقع منه :

فقال له إن الشيخ الحساوى بظمة مطهرة ، من الأصل لا يحتاج إلى ذكر وتذكير ، وإنما يحتاج إلى ذلك أمثالنا أهل الأديان ففت أشار إلى ذلك سيدى عبد الرهاب الشعرالى فى المتن فمن حينئذ اشتغل بالذكر والمراقبة والفكر والمجاهدة .

ويقول :

ثم سار فى طريق القوم أتم سير حتى لقيه الشيخ العارف أستاذنا

السيد البكرى الصديقى ، الاسم الأول ، والثانى ، والثالث ؛ ومن حين أخذ عليه لم يقع منه فى حق الشيخ إلا كمال الأدب ، والصدق التام . وهو الذى قدمه وبه ساد أهل عصره ، فمن ذلك أنه كان لا يتكلم فى مجلسه أصلاً إلا إذا سأل ، فإنه يحييه على قدر السؤال ، ولم يزل يستعمل ذلك معه ، حتى أدون له بالتكلم فى مجلسه ، فى بعض رحلاته إلى القاهرة ، وسببه : لما رأى إقبال الناس عليه ، وتوجههم إليه ، قال له انبسط إلى الناس واستقبلهم :

لأن يهذى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حصر النعم ،

ومن آدابه وامتناله لأمر السيد شيخه أنه قال له مرة .

تعال النبيلة مع الجماعة ، وادكروا عبدنا فى البيت ، فلما دخل الليل نزل مطر شديد ، فذهب أستاذى إليه حائياً والمطر يسكب عليه وهو يخوض فى الوحل ، فقال له :

كيف جئت فى هذه الحالة ؟

فقال يا سيدى إنكم أمرتمونا بالمحىء ، ولم تقيدوه بعذر ، وأيضاً لا عذر ، والخدمة هذه لإمكان المحىء وإن كنت حائياً

فقال له أحسنت ، فهذا أول قدم فى الكمال والصدق .

وكان جالساً معه وهو يحرق فى الصلاة على حير البرية تتشاءب أسادى ، فقال له كيف تتشاءب رأيت فى هذه الحصرة ؟ ماذا صنعت حتى دخل معك الشيطان ، فإن الشاؤب من الشيطان ؟ وحصرة الشيخ حصرة الله تعالى ، وحصرة الله لا يدخلها الشيطان ؟

ثم قال له . إما في هذا المجلس ، أو في مجلس آخر ، إن التائب
على قسمين :

إما من الشيطان ، وإما من عليّة نوم أو كسل ، فلما علم صدق حله
وحسن فعاله قدمه على خلقاته . وأولاه حسن ولائه ، ودعاه بالأخ
الصديق . ومسحه أسراراً . وأراه عيون الخلق ، فمن ذلك أنه ذكر في
رحلته المصريه ما يدل على أنه أعطاه الاسم الأعظم « أه » ويقول :

« قلت وبعد تلقينه الاسم الثالث كما تقدم سافر شيخه السيد
الصدّيق إلى بيت المقدس ، فلما كان عام تسع وثلاثين توجه السيد
من بيت المقدس قاصداً الحجار للحج ، فأرسل مكتوباً في أثناء
الطريق ، وفيه دائرة فيها اسم « حق » وكتب له . برر الإذن الإلهي
بأن تكون حليلة عنا ، وتأخذ العهد ، وتلقن الذكر . وترى
المريد » .

أدب لشيخ البكري لشيخ الحفي بأحد العهود ، وتلقين الذكر
وتربية المريد ، ويحتاج هذا المصوح إلى شيء من الشرح .

روى الإمام البخاري رضي الله عنه من حديث عبادة بن الصامت
رضي الله عنه : وكان عبادة شهد بدرًا وهو أحد المقباء ليلة العقبة ،
أد رسول الله ﷺ ، قال ، وحوله جماعة من أصحابه .

« يَا يَعْزُوبُ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا تَسْرِقُوا ، وَلَا تَزْنُوا ،
وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ وَلَا تَأْتُوا بِهَتَّاءٍ تُصْرَوْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ
وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ ، فَمَنْ وَفَى بِكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ
أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ، وَمَنْ أَصَابَ

مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَمَّا عَنْهُ . وَإِنْ شَاءَ عَاقِبُهُ ، فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ »

وروى الإمام أحمد من حديث سلمى بنت قيس ، وكانت إحدى حالات رسول الله ﷺ ، وقد ضلت معه إلى القملتين ، وكانت إحدى نساء بني عدي بن البخاري ، قالت

جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، ﷺ ، تُبَايِعُهُ ، فِي نِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَمَّا شَرَطَ عَلَيْنَا أَلَّا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا نَسْرِقَ ، وَلَا نَزْنِيَ ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادِنَا ، وَلَا يَأْتِيَ بِيْهَتَانِ يَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا ، وَلَا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ ، قَالَ : « وَلَا تَمَسُّشِ أَرْجُلَكُمْ »

قَالَتْ : فَبَايَعْنَاهُ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ ، فَقُلْتُ لَامْرَأَةٍ مِنْهُنَّ : ارْجِعِي فَسَلِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : مَا عَشْتُ أَزْوَاجًا ؟ مَالَهُ ، فَقَالَ : « تَأْخُذُ مَا لَهُ فَتَحَابِسِي بِهِ عَيْرَهُ »

ولقد وردت بيعة النساء في « القرآن الكريم » ، بقوله تعالى .
﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ ، وَلَا يَزْنِينَ ، وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ، وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ، وَلَا يَعْصِيَنَّ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعْنَهُنَّ ، وَاسْتَعْمِرُنَّ لِهِنَّ اللَّهُ ، إِنْ اللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ ﴾^(١)

وهذه بيعة عامة :

(١) المتحفة إليه ١٢

وقد تكون البيعة بيعة خاصة ، كبيعة الرضوان التي يقول الله تعالى فيها .

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ، فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ، وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(١)
ويقول الله سبحانه وتعالى لرسوله :

﴿إِنَّ الدِّينَ يُبَايِعُكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢) .

وقد يرى رسول الله ﷺ أن البيعة تتخذ صوراً مختلفة ، وذلك أنه مادام أساسها طاعة الله ورسوله ، فهي بيعة لله تعالى ومن صور البيعة مثلاً أن يمتنحى الإنسان الخدم في سبيل الله ، أو أن يطلق المدفع جهاداً لعدو ، يقول رسول الله ﷺ فيما رواه ابن أبي حاتم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه :

« مَنْ سَلَّ سَيْفَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ بَايَعَ اللَّهَ »

وروى ابن كثير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال .
قال رسول الله ﷺ في الحجر [الأسود]

« وَاللَّهِ لَيُعَذِّبَنَّ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يَنْظُرُ بِهِمَا ، وَلِسَانٌ

(١) الفتح ١٨

(٢) الفتح ١٠

يُطْلَقُ بِهِ ، وَيَشْهَدُ عَلَى مَنْ اسْلَمَهُ ، بِالْحَقِّ ، فَمَنْ اسْتَمْتَهُ فَقَدْ
بَايَعَ اللَّهَ تَعَالَى .

ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

﴿إِنَّ الدِّينَ يُبَايِعُكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ بَعْدَ بَيَانِهِ أَنَّ مَنْ اسْتَلَمَ
الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فَقَدْ بَايَعَ اللَّهَ تَعَالَى .

كُلُّ هَذِهِ أَلْوَانٍ مِنَ الْبَيْعَةِ ، وَالسَّعَةِ أَوْسَعُ مِنْ ذَلِكَ .

وَمَنْ عَاهَدَ الشَّيْخَ فَقَدْ بَايَعَهُ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَمَنْ بَايَعَ عَلَى الطَّاعَةِ
فَقَدْ بَايَعَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ وَبَيَّسَتْ الْبَيْعَةُ عَلَى الصَّاعَةِ الصَّادِقَةِ
بِأَقْلٍ مِنَ الْبَيْعَةِ عَلَى امْتِثَاقِ الْحَسَامِ ، أَوْ اسْتِلَامِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ،
بَلْ إِنَّ امْتِثَاقَ الْحَسَامِ وَاسْتِلَامَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ أَجْزَاءُ مِنَ الْبَيْعَةِ عَلَى
الطَّاعَةِ أَيْ إِنَّ الْعَهْدَ بَيْعَةٌ .

وَيَتَحَدَّثُ الْإِمَامُ الرَّارِي ، الْحُجَّةُ فِي مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ ، صَاحِبُ
تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَعْرُوفِ عَنِ الشَّيْخِ ، وَيَشْتَرِطُ فِيهِ أَنْ يَكُونَ مَخْصِصًا
صَادِقًا ، قَدْ اسْتَهْجَ الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، وَأَنْ يَكُونَ سَالِكًا

« أَمَّا السَّالِكُ فَلَا أَنْ لَوْصُولَ تَارَةِ الْحَدِيثِ عَلَى مَا قَالَهُ ﷺ وَالسَّلَامُ .
جَدِيدَةٍ مِنْ جَذَبَاتِ الْحَقِّ ، تَوَازَى عَمَلُ الثَّقَلَيْنِ .

وَأُخْرَى بِالسَّلُوكِ

وَالْأَوَّلُ . لَا يَصِحُّ أَنْ يَقْتَدَى بِهِ ، لِأَنَّهُ مِثْلٌ مَنْ وَجَدَ كَثْرًا مِثْلَ

عياً ، فإنه وإن كان ذا مال لكنه غير عالم بكيفية اكتساب المال ، فلا يتفح به التلميذ الطاب لتعم كيفية الاكتساب .

وأما الثانى : فهو الذى يصلح لثروة مريد ، لأن من سلك الطريق ، وعرف مراحبها ومنازلها ، واطلع على متاعها ، ومعاطبها أمكنه إرشاد الغير إلى سوء السبيل . والإخبار عن كيفية تلك الأحوال على التفصيل .

ومى ذلك يقول الشيخ عبد الواحد يحى :

« لا بد من التصوف من شرط جوهرى هو « التأثير الروحى » أو بتعبير أدق « البركة » وهى لا تنأى إلا بواسطة « شيخ »

ومن هنا كانت « الطرق » ومن هنا كانت « السلسلة » ، (وهل السلسلة إلا بركات تنتقل من شيخ إلى مريد يوشك أن يصبح شيخاً ، فيؤثر بدوره فى مريد ، أو مریدين) .

على أنه لا جدال ، أو يجب أن لا يكون جدال ، فيما رآه سيد الطائفة لإمام الجيد فى الشروط التى يجب أن تتوفر فى الشيخ ، به يقول : لا يستحق الرجل أن يكون شيخاً حتى يتخذ حظه من كل علم شرعى ، وأن يتورع عن جميع المحارم . وأن يزهى فى الدنيا .

وألا يشرع فى مداواة غيره إلا بعد فراعته من مداواة نفسه وحتى يكون على علم يهذى به العباد ، إذا مرض مريده بسبب شبهة فى علم التوحيد دواء ، وإذا حير فى مسألة من مسائل الفقه أفقده .

ويشترط أن يكون لديه القناعة بالعنى عن الناس ، وأن يحاف
ويحشى من المعاصي والأدناس
وأن يلازم العمل بالكتاب والسنة .

بعد أن بين الإمام الجيد صفات الشيخ ، أحد بين للمريد ما
يجب عليه التزامه فى الطريق حتى يسير على هدى فقال :
«ياك ومتابعة من لم يكن على غير هذه الصفات ، فإنه من
جنود لشيطان .

ثم يأمر الحيد المريد بهذا الأمر الواضح الذى يعمل فى نفسه
دليل الصديق ويتسم بسمه الحق

« رن أقواله وأفعاله بميران الشريعة ، فإن رأيت منه شيئاً محالماً
لشرع فأتركه حتى وإن كان ذا حال صحيح ، فما عليك فى ردّه
بحكم الشرع من بأس ولا تتعده مرشداً »

ويتحدث ابن عطاء الله رضوان الله عليه ، عن الشيخ ، يتحدث
عنه بأسلوبه الشائق ، وبعبارة الحميدة ، وبروحانيته الحذابة يقول
« ليس شيخك من واجهتك عذرتك ، وإنما شيخك من سرتك
عيك إشارته .

وليس شيخك من واجهتك مقامه ، وإنما شيخك من بهضات
حاله !

وليس شيخك من دعاك إلى الباب ، وإنما شيخك من كشف
بينك وبينه الحجاب ..

شبهتك هو الذي ما زال يحو مرآة قلبك حتى تتجلى فيها أنوار ربك ، أنهضك فنهضت ، ورج بك في نور الحصرة ، وقال لك ها أنت وربك » .

ويقول أيضًا في أسبويه المتسم دائما بإشراقه الوصاءة .

« والافتداء لا يكون بولي مجهول العى ، في كون الله ، وإنما يكون الافتداء بولي ذلك الله عبيه ، وأطلعك على خصوصيته ، انطوى عنك شهود بشريته في وجود خصوصيته ، فألقيت إليه القياد ، وسلك بك طريق الرشاد يعرفك مكنونات نفسك ، وكأنتها ودقائقها ، وبذلك عى انجمع على الله ، ويعلمك الفرر عما سواه وبسائرِكَ حتى تصل إلى الله

أما الشيخ شهاب الدين السهروردي صاحب الكتاب الجميل النفيس « معارف المعارف » فإنه يقول :

ولابد للمريد من شيخ مرشد إلى الحق ، يرشده ويقيه الذكر ، وينقى في روعه امور ، فإن تنقى الشَّيْخ يفتح ناص المريد ، ويسرى فيه كما يفتح من سراج ، فعلى المريد اختبار الشَّيْخ الصَّالِح المشهود له بالعلم والمعارف ، واتقاء المحارم » .

وعود إلى الشَّيْخ الحففى . لقد وجد حطه ما يل

« هذه صورة أخذ لعهد أرسها إلى أستاذى وملاذى السيد الكرى الصديقى لخلوتى حين أذن لى بأحد العهد على طريق السَّادة الحنوبية وعن ما كتب : « كعبة المديعة للبصر الطائفة . يحسن المريد بولى الحميد بين يدى الأستاذ الذى به لاد ، ويلصق ركبته مركبته متعلقاً

بمودنه ومحبه ، والشيخ مستقبل القبة لأنها جهة الوصية ، ويقرأ فاتحة للابواب الإمدادية فاتحة ويضع يده ايمنى فى يده مسما له مستمداً من مداده ، ويقول له الربى الألعى قل معى . أستغفر الله العظيم ، أستغفر الله العظيم ، أستغفر الله العظيم ، ويتعوذ ويقرأ آية التحريم :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ، عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كُلَّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١)

ثم يقرأ آية لمبايعة التى فى الفتح ليرى الاشياء ، اقتداء برسول الله ﷺ وهى :

﴿إِنَّا أَسْلَمْنَا بِمَا يُبَايِعُكَ بِمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُسْوًى بِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢)

ثم يقرأ الفاتحة ، ويدعو الله تعالى لنفسه ، وللأخذ بالتوفيق ويوصيه بالقيام بأرادة الطريقة والدوام على ذوق أهل هذا الفريق ، وعرض الحواصر ، وقص الروايات العواطر ، وإذا وقعت الإشارة بتلقيق الاسم

(١) التحريم ٨ .

(٢) الفتح : ١٠

الثاني لقنه ليبلغ الأمانى ، وفتح له باب توحيد الأفعال إذ لا غيره فعال
وفى الثالث توحيد الأسماء يشهد اسر مى الأسماء .

وفى الرابع توحيد الصفات يدرجه إلى أعلى الصفات ؛ وفى
الحامس توحيد الذات يحظى بأمر الذات .

وفى السادس ، والسابع . يكمل له التواضع ، وسأل الله تعالى
إهداية والرعاية والحماية والدربة ، والحمد لله رب العالمين .

ويريد الشيخ الحقى الأمر إيضاحاً فى هذا الموضوع عن شح
الإسلام العارف بالله الشيخ الأنصارى يقول

« ثم رأيت فى الفتوحات الإلهية فى نفع أرواح الذوات الإنسانية
وهو كتاب نحو كراس شيخ الإسلام ركبنا الأنصارى مانعه

» وإذا أراد الشيخ أن يأخذ العهد على المريد فليتطهر ، وليأمره
بالتطهر من الحدث والحيث ، ليتهاً لقبور ما يقيه عليه من الشروط
فى الطريق ، ويتوجه إلى الله تعالى ، ويسأله القبول هما ، ويسأل
إليه فى ذلك محمد ﷺ ، لأنه لواسطة بينه وبين خلقه ، ويضع
يده اليمنى على يد المريد اليمنى بأن يصنع راحته على راحته ويقبض
بهمته بأصابعه ويتعوذ ويسمى ، ثم يقول :

الحمد لله رب العالمين . أسغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو
الحى القيوم وأتوب إليه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم .

ويقول المريد بعده مثل ما قال ، ثم يقول له قل .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ وَأُشْهِدُ مَلَائِكَتَكَ وَأَنْبِيَاءَكَ وَرُسُلَكَ وَأَوْلِيَاءَكَ
أَنِّي قَدْ قَسَمْتُ شَيْخًا لِي فِي اللَّهِ وَمُرْشِدًا وَدَاعِيًا إِلَيْهِ .

ثم يقول الشيخ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ ، وَأُشْهِدُ ، مَلَائِكَتَكَ وَأَنْبِيَاءَكَ
وَرُسُلَكَ وَأَوْلِيَاءَكَ أَنِّي قَدْ قَسَمْتُ وَلَدًا فِي اللَّهِ ، فَاقْبَلْهُ وَأَقْبِلْ عَدِيهِ
وَأَصْحَبْ بَا . وَهْدَا وَاهِدْ بَا . وَرَشِدْنَا وَرَشِدْ بَا ؛

اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَأَهْمِبْ اتِّعَاذَهُ ، وَرِنَا السَّاطِلَ بَاطِلًا وَرَرَقَ
اجْتِنَابَهُ .

اللَّهُمَّ اقْصَعْ عَنَّا كُلَّ قَاطِعٍ يَقْطَعُنَا عَنْكَ ، وَلَا تَقْطَعُنَا عَنْكَ ، وَلَا تَشْغَلْنَا
بِغَيْرِكَ عَنْكَ « ا هـ » أَمَّا الْأَسْمَاءُ السَّبْعَةُ الَّتِي تَنْفَعُ لِلْمَرْبِدِ ، فَإِنَّ الصَّوْفِيَّةَ
عَلَى وَجْهِ الْعَمُومِ يَرْبِطُونَهَا بِسِيرِ النَّفْسِ مِنْ ابْعَدَ عَنِ اللَّهِ إِلَى الْقُرْبِ
مِنْهُ ، وَمِنْ مَعْصِيَةِ إِلَى النُّوْبَةِ ، وَمِنْ اطِّعَاةٍ إِلَى الْقُرْبِ ، وَبَعْضُ فِي
أَحْوَالِهَا الْمُحْتَنَنَةِ وَهِيَ سِيرُهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى تَنْسِمُ بِصِفَاتٍ ، وَهَذِهِ الصِّفَاتُ
ذَكَرْتُ فِي تَفْرَاقِ الْكَرِيمِ ، وَهِيَ تَطْلُقُ عَلَى النَّفْسِ مُحَدِّدَةً بَعْدَهَا وَقُرْبَهَا
وَسِيرَهَا فِي مَرَاتِبِ الصِّفَاءِ ، وَتَحَدِّدُ بِالتَّالِي بَعْدَهَا وَقُرْبَهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى .
وَالْأَسْمَاءُ الْأُولَى مِنَ الْأَسْمَاءِ السَّبْعَةِ هِيَ -

« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ »

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ عَلَى لِسَانِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ .

﴿ وَمَا تُرِئْ نَفْسِي إِلَّا لِنَفْسٍ لَأْمَارَةٍ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ، يَا
رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١)

وإذا كانت رحمة الله تعالى تأتي أحياناً اجتناء ، وتأتي أحياناً
إنيابة :

﴿اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾^(١) .

وإذا كان الاجتناء بدصل وكرم ، وإذا كانت الإنيابة محتاج إلى
وسائل . فإن من وسائل الإنابة : الذكر بـ « لا إله إلا الله »
والاسم الأول تثبيت للتوبة ، واستكمال لها . هداية وهدى .
ويقول رسول الله ﷺ :

« أَفْصَلُ مَا قُلْتُهُ نَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي . لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ »

والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿مَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِي وَلِذُنُوبِ الْمُؤْمِنِينَ .
وَاللَّهُ يَغْفِرُ مَغْفِلَتَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾^(٢)
والثاني : « الله » .

وتسمى فيه النفس لوامة ، يقول الله تعالى :

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾^(٣)^(٤)

والثالث : « هو »

وتسمى فيه النفس ملهمة : يقول الله تعالى .

(١) النورى : ١٣

(٢) محمد - ١٩

(٣) النعمة : ٣ ، ٤

(٤) واللوامة هى الندامة على الشر إذا فعلته ، والاسمه على الخير لم تم يستكثر منه

﴿قَالَتْ هِيَ فَأَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^(١) .

والرابع : « حق »

وهو أول قدم يحبه امرئ من الولاية - « كما مرّت الإشارة إليه » ،
تسمّى النفس فيه مطمئنة ، يقول الله تعالى :

﴿وَأَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾^(٢)

والخامس : « حتى »

وتسمّى النفس فيه راضية ، يقول الله تعالى :

﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾

والسادس : « قيوم »

وتسمّى النفس فيه مرضية ، والله تعالى يقول

﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾

والسابع : « قهار »

وتسمّى النفس فيه كامنة ، وهو عايد التلقين ، ولكنها يبقن في
الأذن اليسرى ، إلا السابع ، هي اليسرى ، وتلقينها بحسب ما يراه
الشيخ من أحوال المريدين .

وبذلك نكون النفس قد وصلت إلى التركيب التامة ، ووصلت
بذلك إلى علاج ، ودخلت في نطاق قوه تعالى :

(١) الشمس ٨

(٢) الفجر : ٢٧ ، ٢٨

﴿قَدْ أَفْخَحَ مِنْ زَكَّاهُ﴾^(١) .

وفى نطاق الحديث لشريف الذي يتجه فيه صدقات الله وسلامه عليه ، إلى الله قائلاً :

« لِّلّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكَّاهَا آتِ خَيْرٌ مِنْ زَكَّاهَا ، أَلْتَّ وَلِيَّهَا وَمَوْلَاهَا » ورسول الله ﷺ حين يدعو بهذا الدعاء ، مع ما هو معروف من أنه إمام المتقين ، وس أن نفسه زاكية فإنما يهدف رسول الله ﷺ إلى توجيه الأمة نحو الإقبال على الله سبحانه وتعالى ، والأخذ بذلك في طريق الكمال .

لقد ارتبط الشيخ الحمصي بشيحه العارف بالله الشيخ البكري ، برابط وثيق ، لقد فقه الشيخ البكري : فقه نعمه ، وفقه بوعده ، وفقه بتقواه ؛ لقد فقه علماً ، وفقه عبداً ، وفقه مبهماً ، وفقه نوراً وضياءً .

« وحينما سافر الشيخ البكري عائداً إلى بيت المقدس كانت روح الشيخ اخفنى متعلقة به تعلقاً شديداً .

يذكره إذا أشرق الصبح ، ويذكره في الأصال ، ويذكره إذا هبت نسائم السحر ، ويذكره إذا جنت الليل .

وهو حينما يذكره فأبما يذكره كقمة من القمم التي تهدي إلى الله ورسوله ، وتوجه إلى القران الكريم حفظاً وفهماً ، وتدبراً وانبعاً ، وتهدي إلى سنة رسول الله ﷺ . تأسيًا واقتداءً ، وترشد

(١) الشمس : ٩ .

إلى طريق القرب من الله تعالى ، وتشرح منازل السائرين ، ومعارج السالكين ، ومعارج انقدس ، ومعارج الأرواح في سيرها في درجات الصلاح ، وتشوق الشيخ إلى أستاذه ، فوجهه الله إلى السفر إليه ، وعن ذلك يقول الجبرتي نقلاً عن كتاب لمجموع لشيخ حسن بن علي المكي :

« لما أدل له السيد البكري بأحد العهود وتنقبن الذكر م يقع له تسيبٌ أحد في هذه لطريقة ، إنما كان شغله وتوجهه كنه إلى العلم وإقراءه ، لكن ذلك مجسمه ، وأما قلبه فلم يكن إلا عند شيخه السيد الصديقي ، ولم يرب كذلك إلى عام سبع وأربعين فحين جسمه إلى ريادة شيخه وأشد لسان حاله :

« حديم فؤادي وهو بعضي لما الدي يصرفكم لو كان عندكم الكل فأرسل إليه السيد يدعوه بريارته ، فهام يد فهم رمز إشارته ، وتعنت نفسه بالرحيل فترك الإقراء والتدريس وتقسف رسافر إلى أن وصل بالقرب من بيت المقدس فقبل له :
« إذا دحيت بيت المقدس فادخل من الباب الفلاسي وصل ركعتين وزر محل كذا »

فقال لهم « أنا ما حثت قاصداً بيت المقدس ، وما جئت قاصداً إلا أستاذي فلا أدخل إلا من بابه ولا أصبى إلا في بيته » فمحوا له فبلغ السيد كلامه ، فكان سبياً لإقباله عليه وإعداده ، ثم سار حتى دخل بيت المقدس فتوجه إلى بيت الأستاذ ، فقابله

بالرحب والسعة ، وأمر له مكاناً ، ثم أحد في اجاهدة من لصلاة والصوم والذكر والعزلة والخبرة ، قال بينما أنا جالس في الحلوة إذا بداع يدعوى إليه فحشت إليه فوجدت بين يديه مائدة فقال أنت صائم قلب نعم فقال كل فامثلت أمره وأكبت ، فقال « اسمع ما أقول لك إن كان مرادك صوماً وصلاةً وجهاداً أو رياضة فليكن ذلك في بلدك ، وأما عندما فلا تشتغل بغيرها ولا تقيد بوقتتك بما تروم من مجاهدة ، وإنما يكون ذلك بحسب الاستطاعة وكل واشرب وانسج »

قال : « فامثلت إشارته ومكثت عنده أربعة أشهر كأنها ساعة غير أنى لم تفرقه قسط حلوة وجودة » (١) . ومعه في هذه المرة الأسرار وحلج عيبه حلج القبول ، وتوَّجه بتاح العرفان وأشهده مشاهد الجمع الأول والثاني ، وفرق له فرق الفرق الثاني ، فحار من التذاني أسرار المثاني . ثم لما انقضت المدة ، وأراد العود إلى القاهرة ودعه وما ودَّعه ، وسافر حتى وصل إلى عزة فبيع خبره أمير تلك القرية ، وكانت الطريق مخيمة ، فوجه معه قافلة ببيروق من العسكر فساروا فلقبهم في أثناء الطريق أعراب فحافوهم فقتلوا لأهل القافلة : لاتخافوا فلسنا من قطاع الطريق ، وإن كنا منهم فلا نقدر أن نكلمكم وهذا معكم » وأشاروا إلى الشيخ ، ولم يزاوا سائرين حتى انتهوا إلى مكان في أثناء الطريق بعد مجاوزة العريش نحو يومين ، فقبل ضم إن طريقكم هذا عبر مأمور الحظر ، ثم

(١) عبود وحلوة أنى في محالسه الخاصة والعامة ، يعنى في السر والعلن

تشاؤروا فقال لهم أعراب ذلك المكان : نحن نسير معكم وبسلك
بكم طريقاً غير هذا ، ولكن اجعلوا لنا قدراً من الدراهم تأخذه
معيكم إذا وصلتم إلى بليس ، فتوقف لركب أجمعه ، فقال الأستاذ
« لينا أدفع لكم هذا القدر ههناك » .

فقالوا : « لا سبيل إلى ذلك ، كيف تدفع وأنت ليس لك في
القافلة شيء ؟ والله ما تأخذ منك شيئاً إلا إن صممت أهل القافلة »
فقبل ذلك فاتفق الرأي على دفع الدراهم من أرباب التجارات بصماتة
لشيخ ، فضمهم وساروا حتى وصلوا إلى بليس ثم منها إلى القاهرة
فسرّت به أتم سرور ، وأقبل عليه الناس من حيثئذ أتم قبول ، ودانت
لطاغته الرقاب وأحد العهود على العالم ، ودار مجالس الأذكار بالليل
والنهار ، وأحيا طريق القوم بعد دروسها وأخذ من ورطة الجعل مهجاً
من غي بصرها ، بلع هديه الأقطار كلها وصار له في كثير من قرى
مصر تقيب وحليمة وتلامذة وأتباع يذكرون الله تعالى ، ولم يزل أمره
في ازدياد وانتشار حتى بلغ سائر أقطار الأرض وصار الكبار والصغار
والسواء والرجال يذكرون الله تعالى بطريقته ، وصار خليفته الوقت
وقعبه وم يبي إلى من أهل عصره إلا أذعن به ، وحين تصدى للتسليك
وأخذ العهود أقبل عليه الناس من كل فج وكان في بدء الأمر لا
يأخذون إلا بالاستحارة والاستشارة ، وكتابة أسمائهم ونحو ذلك ،
فكثر الناس عليه وكثر الطلب ، فأحبر شيخه السيد الصديق بذلك
فقال له : « لا تسمع أحداً يأخذ عنك ، ولو بصرايا من غير شرط »
وأسلم على يديه خلق كثير من البصري ، وأول من أخذ عنه الطريق
وسلك على يديه الولي الصوفي العلامة المرشد الشيخ أحمد الناء الفوى

وفى وفاة السيد البكرى ، يقول الشيخ حسن المكى .

« ثم حج مولانا السيد الصديقى عام إحدى وستين ومائة وألف وعاذ من الحجاز إلى القاهرة ، فمرض عقب دخوله مدة شهر فحان مويد السيد البدوى ، فأراد الشيخ أستاذنا أن يتحلف عن الذهاب إليه لأجل السيد ، فأشار له بعدم التحلف فتوجه أستاذنا إلى المويد الشريف ، فتوفى السيد الصديقى ، وهو فى المولد ليلة الثانى عشر من شهر ربيع الثانى عام اثنين وستين ومائة وألف ، ودفن بالقرافة الكبرى ، خارج القاهرة وقبره هناك مشهور ، وبريarte تضاعف الأجور ، وقد عمل له أستاذى فى شهر شعبان من العام مولداً عظيماً شددت إياه الرحال ، وحطت لديه الثقال ، وتطاولت دونه الآمال ، وعزم على ترتيب ذلك كل عام » .

هذه عن الطريق الخاص .

أما النوع العام تنتزعه كل الطرق فإن للشيخ فيه لمحات حميدة يكتبها بنفسه أو ينقلها عن غيره .

الطريق الصوفى العام :

عما اتفق عليه أئمة التصوف من قدماء ومحدثين ضرورة العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، ولأئمة التصوف فى ذلك مالا يكاد يخصى من المصوص التى تختلف فى اللفظ ، وتتحد فى المعنى ، إنهم يرون أن .
« محل جوار العمل بما ألهم به الولى فى نفسه وعيره إن وافق الشريعة ، فإن لم يجده مصوصاً فى الشرع ترك العمل به فى نفسه وعيره »^(١) .

(١) حاشية الخصى على الجامع الصغير ج ٢ ص ١٦٢

وتبدأ الطرق جميعها في التوجه إلى الله تعالى بالتوبة الصادقة .
 وللتوبة في الحو الإسلامي مكانة كبيرة ، وقد فتح الله أبوابها
 على مصاريعها لتائبين في الليل والنهار ، وفي كل وقت وحين :
 « يَا عِبَادِيَ إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ
 جَمِيعًا ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ » (١) .

ويقول ﷺ :

« إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يَسْطُرُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَسْطُرُ
 يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا » (٢)
 والتوبة المقصودة هاهنا التوبة التي استوفت أركانها وشروطها ،
 بقول الإمام النووي عن شروط التوبة الصادقة :

قال العلماء :

التوبة واجبة من كل ذنب ، فإن كانت المعصية بين العبد وبين
 الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فيها ثلاثة شروط :

أحدها : أن يقلع عن المعصية

والثاني : أن يتدم على فعلها .

والثالث : أن يعزم ألا يعود إليها أبدًا ، فإن فقد أحد الثلاثة

لم تصح توبته

(١) من حديث قدسي صحيح ، رواه أبو زر جندب بن جنادة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن الله سرك ونعاه وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، والإمام مسلم في صحيحه عن أبي موسى رضي

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي مشروطها أربعة ، هذه الثلاثة ، وأن يبرأ من حق صاحبها ؛ فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه ، وإن كان حذو قذف ونحوه مكنه مه ، أو طلب عفوّه ، وإن كان عيبه استحلّه منها .

ويجب أن يتوب من جميع الذنوب ، فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب ، وبقي عليه الباقي .
وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب التوبة « أ هـ » .

ويقول رسول الله ﷺ ، فيما رواه ابن عمر « توبوا إلى الله تعالى فإنّي أتوبُ إليه كل يوم مائة مرة » .
وحسبنا كتب الشيعة الخصي على هذا الحديث الشريف في حاشيته على الجامع الصغير ج ١ ص ٤٠٥ قال :
(قوله . توبوا إلى الله) حطاب لكل الناس سواء
« العوام » ، وتوبتهم الرجوع عن الذنوب
« والخواص » ، وتوبتهم الرجوع عن الغفلة عن طاعة الله ،
والاشتغال بالدنيا ، ولو أمرا مباحا .

وحواص الخواص ، وتوبتهم الرجوع عن الالتفات إلى ما سواه تعالى ، فأقسام التوبة ثلاثة ، وتوبته ﷺ ليست من الثلاثة ، بل إنه إذا ترقى إلى مرتبة تاب من التي قبلها بمعنى أنه ينسب نفسه إلى التقصير حيث لم يبدل الجهد في الوصول إلى تلك المرتبة التي وصل إليها .

وقوله : « مائة مرة » للتكثير ، فلا يمامى الزيادة ، كما فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾^(١) أى أو ألف مرة - مثلاً - فلن يغفر الله لهم فلا مفهوم للتقييد بالسبعين على أن الإنسان قد يقع فى الإثم ، فإذا ما فعل فلا يئأس من روح الله ويحبب إليه أن يجدد التوبة صادقاً مخلصاً

وفى حاشية الحصى عند كتابته عن قول رسول الله ﷺ :
وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَخْبِثْ عَنْهَا تَوْبَةً ، السر بالسر والعلاية^(٢)
بالعلاية^(٣)
يقول .

(قوله السر بالسر) يصح بصحهما ورفعهما ، أى إذا وقع منه ذنب فى السر ، بأن كان قليلاً ، كالعزم على المعصية ، أو كان بالجوارح وم يطعم عليه أحد ، يطيب أن يتوب توبة فى السر ، لتحصل المناسبة بين المكفر والمكفر ، ليكون كالدواء فى المرض الحصى ، فإن كل مرض له دواء يناسبه ، هذا هو الأول ، وإلا فتوبة السر تكفر ذنب العلانية ، وبالعكس لكن الأول أساسية ، ولذا يطلب من عصي فى مكان ، أن لا يفارقه حتى يعمل فيه عملاً صالحاً ، لمعادل الذنب ، وربما غلب العمل الصالح ، فيشهد له به ، ولا يشهد عليه بما وقع منه ، من المعصية فيه ، ويطلب من ارتكب ذنباً أن لا يزيل شيئاً من شعره وحفره ، حتى يكفره بحو التوبة^(٣) .

(١) التوبة ٨٠

(٢) الإمام أحمد فى الزهد عن عطاء مرسل

(٣) حاشية الحصى ج ١ ص ٧٩

وينقل الحنفى عن الشاذلى وعن غيره ، رضى الله عنهم أجمعين ،
ما يلى :

« وقال العارف بالله الشاذلى رضى الله عنه .

« كل شهوة تدعوك إلى الرغبة فى مثلها فهى علة الشيطان
وسلاحه ، وكل شهوة تدعوك إلى طاعة الله والرغبة فى سبيل الخير
فهى محمودة ، وكل حسنة لا تثمر ثورا أو علما فى الوقت فلا تعد
لها أجرا ، وكل سيئة أثمرت خوفاً وهرماً إلى الله ورجوعاً إليه فلا
تعذبها وزراً » اهـ .

ومن مقام العارفين ما حكى عن الإمام أبى محمد انيسابورى
أنه دخل المسجد مرة يعتكف فى رمضان ، فرأى المتعبدين يجتهدون ،
والقراء يقرءون فقطع الاعتكاف وخرج فقيل له فى ذلك ، فقال :
لما رأيت تعظيمهم بعبادتهم واعتمادهم عليها دون الله لم يسعى
إلا الخروج خوفاً من نزل البلاء عليهم

وينقل عن أبى العباس المرسى رضى الله عنه ما يلى :

قال المرسى :

كنت جالسا بين يدى أستاذى الشاذلى ، فدخل جماعة فقال
هؤلاء الأبدال فنظرت يصيرى فسم أروهم أبدالاً فتحيرت .

فقال الشيخ . من بدلت سياته حسنة فهو بدل فعلمت أنه
أول مراتب البدلية .

الذكر

بعد أن يأخذ الشيخ على المريد عهد الله على التوبة الصادقة ،
يوجهه إلى الذكر .

والشيخ احمى يتحدث كثيراً عن الذكر ، ولقد ألف فيه رسالة ،
وكتب عنه ما ، وهناك من كثير من كتبه ، وقبل أن نتحدث عن
آرائه في الذكر نقول :

إن الذكر هو أساس الوصول إلى الله تعالى ، ومن أجل ذلك
فإن كل الطرق الصوفية تعطى للذكر عناية خاصة ، وكلها تذكر
أسماء معينة لله تعالى ، يُردها المريد آلاف المرات ، وينتقل فيها من
اسم إلى اسم ، بحسب توجيه شيخه ، وذلك فصلاً عن الذكر بالقرآن
الكريم ، وبالصلاة على رسول الله - ﷺ وبغير ذلك من ألوان
الذكر ، كالتهلل والتسبيح والتكبير وغيرها .

يقول الإمام القشيري :

والذكر ركن قوى فى طريق الحق - سبحانه وتعالى بل هو
العمدة فى هذا الطريق ، ولا يصل أحد إلى الله إلا بسوام لذكر
والذكر على ضربين :

ذكر للسان ، وذكر للقلب .

فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب ، والتأثير

لذكر القلب ، فإن كان العبد ذاكرة بلسانه وقلبه ، فهو الكامل في وضعه في حال سلوكه .

وم يتحدث الصوفية عن الذكر ، بالأسلوب الثرى فحسب ، وإنما تحدثوا عنه شعراً جميلاً ، ومن ذلك ما كان الشبلي يُنشد في مجلسه :

ذكرتك ، لا أنسى نسيتك لحظة وأيسر ما في الذكر ذكر لسانى
وكدتُ بلا وَجْدٍ أموتُ من أهوى وهام على لقلب بالخفقان
فلما أرايتُ الوجدُ أنك حاضرى شهدتك موجوداً بكل مكان
فخاطبتُ موجوداً بغير تكلم ولا حظت معلوماً بغير عيان
ومن خصائص الذكر ما ذكر الإمام القشيري ، من أنه :

غير مؤقت ، بل ما من وقتٍ من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله : إما مرضاً وإما ندباً ، والصلاة وإن كانت أشرف العبادات - فقد لا تجوز في بعض الأوقات ، والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات .

والصوفية في موقفهم هذا من الذكر إنما يتابعون ما أمر الله سبحانه وتعالى به ، وما حث عليه في كتابه الكريم - إن الله سبحانه وتعالى يصف أولى الألباب فيقول :

﴿أُولَئِكَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَى جُودِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّمَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقَبْلاً عَذَابَ النَّارِ﴾ (١)

(١) آل عمران : ١٩١

ويقول الإمام القشيري :

ومن خصائص لذكر أنه جعل في مقابته الذكر ، قال الله تعالى :
﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾^(١) .

ويقول الإمام القشيري :

« وفي خبر أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ :
إن الله تعالى يقول :

« أُعْطِيتُ مَمْلُوكًا مَا لَمْ أُعْطِ أُمَّةٌ مِنْ الْأُمَمِ .. فقال : وما ذلك يا
جبريل ؟ فقال : قوله تعالى (فادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) لم يقل هذا لأحد
غير هذه الأمة .

ولقد استفاض رسول الله ﷺ ، في الحديث عن الذكر استفاضة
ملأت كتبها بأكمها ، وألفت في ذلك كتب كثيرة ، وأبواب مستفيضة
في كتب السنة .

لقد تحدث رسول الله ﷺ عن الذكر في صورة الاستغفار ،
وعن الذكر في صورة الصلاة على الرسول ﷺ وعن الذكر في
صورة التسبح ، وعن الذكر في صورة الحمد ، وعن الذكر في
صورة التكبير ، وعن الذكر بلا إله إلا الله ، وعن فائدة الذكر .
وحث رسول الله ﷺ على الذكر ، وأبان أن مجالس الذكر
إنما هي رياض من رياض الجنة .

ومن الحق أن نقول مع الإمام القشيري :

(١) البقرة : ١٥٢ .

إن الذكر هو العمدة في طريق القوم .

ونعود ثانية فنقول إننا قل أن نتحدث عن آرائه هي الذكر ينبغي
لكل قارئ لكتب الصوفية فيما يتعلق بحقهم « الرجاء » ولكل قارئ
لكتب أبي الأبرار أن يتأمل شرحه للحديث الشريف التالي :
قال الله تعالى « إني أنا الله لا إله إلا أنا ، من أقر لي بالتوحيد
دخل حصني ، ومن دخل حصني أمن من عذابي » . انشيري
عن علي .

(قوله من أقر لي بالتوحيد) بأن من قال لا إله إلا الله معتقداً
معناها . وفصلها مشهور ، فإن من قامها ولارمها نجات خطاياها ،
ودخل ساحة نرض ، والأحاديث الدالة على الترغيب في ذلك لا ينبغي
الاغترار بظاهرها ، بأن نهمل في المعاصي ، ويقول : أنا أقول :
« لا إله إلا الله » فتعفر ذنوبي ، لأن المقصد من تلك الأحاديث ،
إنما هو مع الشخص من الدس ، وإلا فأهل الله تعالى لا ينفكون
عن مقام الخوف وإن بلغوا ما بلغوا ، ولذا دخل حماد عن سفيان
الثوري بروره ، وهو مريض ، فقال سفيان . أيغفر لي ربي مع
تقصيري هذا ؟

فقال له حماد : إن خيرت بين محاسبة ربي لي ، ومحاسبة والدي
لي ، اخترت محاسبة ربي لأنه تعالى أرحم بي من والدي ، فقد
خفف عنه الخوف رضى الله تعالى عنهما^(١)

وهذا الشرح لهذا الحديث الشريف نموذج واضح لشرح مقام

(١) حاشية الحق على الجامع الصغير ج ٢ ص ١٦١

الرجاء ويؤيده في قوة ما ورد في هؤلاء القوم الذين تكاسلوا عن العمل وقالوا : نحن نحسن الظن بالله ، ويرد عليهم رسول الله ﷺ فيقول :

ركدبوا : لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل

وبعد : فما هي ذى فقرات مما كتب أبو الأوار عن الذكر تعقبها رسالته الخاصة بالموضوع يقول رسول الله ﷺ

« إذا استيقظ الرجل من الليل ، وأيقظ أهله ، وصليا ركعتين كتبنا من الأذكار والذاكرات »

(قوله من الأذكار) أى بعض الأذكار ، المذكورين في الآية ، فإنهم أنواع ، أعلامهم الأذكار للحضرة القدسية ، منهم من م يفتقر طرفة عين ، ومنهم مداوم على التذكر فى مصوغاته تعالى ، ومنهم المشتغل بالذكر بلسانه ، ويدخل فيهم المشتغل بعلوم الشرع وآلاته ، وإذا كتبنا من الأذكار ، ترتب هما ما أعده الله تعالى للأذكارين ، بقوله تعالى : ﴿أَعِدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَعِيراً وَأَجْراً عظيماً﴾^(١) وعبارة العزيز : الأذكارون الله كثيرا والذاكرات : من لا يكاد يحلو بقله ، أو بلسانه ، و بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر .

وقال القاصى عياص ذكر الله . بأن يذكر بالقلب وباللسان وذكر القلب نوعان :

أحدهما - وهو أرفع الأذكار وأجدها : الفكر فى عظمة الله

(١) الأحزاب ٢٥ .

تعالى وجلاله ، وجبروته ، ومبكوته ، وآياته في سماواته وأرضه ،
ومنه الحديث : « حير الذكر الحصى » والمراد به هذا

والثاني ذكر بالقلب ، عند الأمر والهي ، فيحتل ما أمر به ،
ويترك ما نهى عنه ، ويقف فيما أشكل عليه ، وأما ذكر اللسان
مجرداً فهو أضعف الأذكار ، لكن فيه فصيلة عظيمة كما جاءت به
الأحاديث « أنه بحروفه .

وقوله كتباً من الذاكرين الله كثيراً ، إلح .

المرد بالذكر ما يشمل السميع والتحميد والتكبير والاستعثار
ويقول الحنفى في حاشيته على الجامع الصغير

(ذكر الله) فهو أفضل شيء ، يتقرب به ، إليه تعالى ، والاشتغال
بالقرآن أفضل من تدبر معانيه ، فيحصل له بتلاوته الزجر والتطهير ،
أما الخلو بالمعاصي الذي يعرّضه بلسانه فقط ، فيسمى له الاشتغال بالذكر
الذي يطهره من المعاصي ، وأفضل أنواع الذكر : « لا إله إلا الله »^(١)
لتنس الأمانة ، وقول أهل التصوّف يطلب الذكر المفرد أعني الله
الله وهكدا : محمّد على اسم الوّامة ، فإنه ثبت فيها أنه لا إله
إلا الله تعالى ، حتى يصح كونها تلوم صاحبها على المعاصي ، فلما نسب
لها الذكر المفرد ، لتلاحظ الذات المقدسة ، فتنقل من اللومة إلى
المطمنة ، أما الأمانة فالمناسب لها الذكر ، المشتغل على إثبات ونفى^(٢)
وعلامة الأمانة : أنها كلما فعلت ذنباً ، أحببت فعلاً آخر وهكدا فلا يغتر
الإنسان ، ويصف نفسه بأنها لوامة أو مطمئة بل يختبرها .

(١) أنه . لا إله إلا الله .

(إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي . وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَّتَاهُ) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

(قوله ما ذكرني) أى مدة ذكره لى والذكر أنواع ثلاثة

١ - ذكر اللسان ، وإن كان القلب عَمَلًا ، فهو ذكر العوام ، وفيه ثواب .

٢ - وذكر الخواص ذكر للسان مع حضور القلب بالتفكير فى مصنوعاته ونحو ذلك .

٣ - وذكر خواص الخواص : وهو أن يعيب فى الشهود عن كل ما سواه تعالى ، ولم يحطر به غيره تعالى ، وهذا يناسبه الذكر المفرد نحو الله الله ، وهكذا إذ ليس فى دمه غيره تعالى حتى يحتاج لسمى والإثبات ، فهذا إنما يكون لأهل هذا المقام ، وإن كان أهل الشريعة يقولون لا يثاب إلا بملاحظة نحو : معبود أو موحود ، لأن هذا ملحظ صوفى لأهل الحقيقة فلو أراد الجمع بين الظاهر والباطن لاحظ هذا المقدر .

(قوله حبر الدعاء) أى الذكر الاستغفار لمن هو ملوث بالذنوب لأنه من باب التحلية ، وبقية الأذكار من باب التحلية ، والأول مقدم ، ألا ترى أن تنظيف الثوب أولى ، من تبخيره مثلاً ، وهذا لا يقتضى الأمر بترك الأذكار للملوث بالذنوب ، لأن المراد أن الأولى له الإكثار من الاستغفار أكثر من بقية الأذكار فهو مثاب على الجميع

جددوا بيمانكم أكثروا من قول لا إله إلا الله .. عن أبي هريرة رضى الله عنه قوله من قول « لا إله إلا الله » : فإنها تزيد

القلب نورًا ، وهي كالسيف القاطع للنفس الأمارة ، فإنها ترقى
للملارم لها إلى أن تكون بنفسه لوامة ثم مطمئة .

« أكثروا ذكر الله حتى يقولوا محزون » عن أبي سعيد .

(قوله أكثروا ذكر الله) أى بأى نوع كان ، والأولى لأهل النور
الأمارة « لا إله إلا الله » فإنها سرًا محيية في التطهير ، ولذا
احتارها أولاً أهل الله ، الملقبوا للأذكار ، فإنها كالسيف القاطع ،
ولاسيما عن شيخ .

قوله . (أكثروا ذكر الله لح) ولذا كان السلف يتقن بعضهم
بعضًا الذاكر لأخذ ذلك بالحديث المسلسل ، فإدا لقن الشيخ تلميذه
انهزت تلك السلسلة ، وفاض عليه النور منها ، بقدر اعتقاده في
شيخه ، وينبغي للذاكر أن يتدبّر بالنفس من جهة يمينه ، لأن الشيطان
فيها ، يذكر لفظ الله جهة يساره لأن القلب جهة يساره ، فالتحرك ،
في الذكر وارد عن السلف بخلاف التحرك في قراءة القرآن ، والعلم
فالأولى تركه ، أى : أن تفحصه خلاف الأولى ، فإن غلب الحال
على الشخص فلا بأس به ويسن الجهر بالذكر حيث لم يخف رياء ،
ولم يشوش على نائم ولا أسر فلا يطلق القول وذلك لأن الجهر
يسيطر ولذا قال شخص لشخص يذكر في المسجد جهراً بحضرته ،
« يا هذا رياء » فقال عليه السلام : « دعوه فإنه مهيم »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رسالة في فضل الذكر والتسبيح والتهليل

حمداً لمن عرس أشجار التوحيد ، في بساتين قلوب لأحباب ، ورفع
ألوية المسجد ، لمن اشتغل بذكره ، فحافظ على شروعه والآداب ،
وصلاة وسلاماً على موصل الخصوصيات ، وعلى آله وأصحابه ما
مدح الذاكرون في الأحاديث والآيات .

(وبعد) فيقول فقير ربه المغني ، الراجي عفو مولاه محمد الحفي
هذه رسالة في فضل التسبيح ، والتهليل مشتملة على أحاديث ،
سرّها يشفي العليل ، وعلى ما يطيب من التمايل ، في ذكر الحق
الجليل ، وعلى وجه لا يتدّء بالنسي من الجهة اليسرى والحقم بالإثبات
من الجهة اليسرى ، وفي بيان حكم الأسرار والجهر به نفع الله
بسرّها الأحباب إنه كريم جواد وهاب .

أما الأحاديث فمنها . قال رسول الله ﷺ :

إذا قال العبدُ المُسلمُ « لا إلهَ إلا الله حرقتِ السمواتِ ، حتى
تَقَعَ بين يدي الله تعالى ، فيقولُ لها : اسكبي ، فتقولُ . كيف
أسكن ، ولَمْ تُعْجِزْ لِقائِي ؟ فقال : ما أُخْرِيتُكِ على لسانِهِ إلا وقد
عُفِّرَتْ لَهُ » رواه الديلمي بسند يعمل به في الفضائل

وقال رسول الله ﷺ :

« إِنَّ اللَّهَ عَهْدٌ إِلَىٰ آلَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا يَخْلُطُ بِهَا شَيْئًا ، إِلَّا أُوجِبَ اللَّهُ لَهُ الْجَنَّةُ ، قالوا يارسول الله : وما الذي يَخْلُطُهُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . قَالَ حِرْصًا عَلَى الدُّنْيَا ، وَجَمْعًا لَهَا وَسَعًا لَهَا ، يَقُولُ قَوْلَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَيَعْمَلُ عَمَلَ الْخَيَابِرَةِ » رواه الحاكم والترمذي بسند يعمل به في الفضائل .

وقال رسول الله ﷺ :

« وَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَجَعَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَمَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَحَمْدُهُ كُتِبَ لَهُ مِائَةُ أَلْفٍ حَسَنَةٍ ، وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ حَسَنَةٍ فَقَالُوا : يارسول الله إذا لَا يَهْلِكُ مِنَّا أَحَدٌ ، قَالَ : بَلَى ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَجِيءُ بِالْحَسَنَاتِ لَوْ وَصَعْتَ عَنْيَ جَبَلٌ لَأَنْقَلَبَتْهُ ، ثُمَّ تَجِيءُ السُّقْمُ فَتَذْهَبُ هَكَذَا ، ثُمَّ يَنْطَافِلُ الرَّبُّ بَعْدَ ذَلِكَ بِرَحْمَتِهِ » رواه الحاكم في المستدرک بسند صحيح

وروى الحاكم عند شداد بن أوس قال : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ :

« ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَقُولُوا « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » فَقُلْنَا .

فَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَتِسِي بِهَذِهِ الْكُفَّةِ ، وَأَمَرْتَنِي بِهَا ، رُوَعِدْتَنِي عَلَيْهَا الْجَنَّةَ ، إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ ، ثُمَّ قَالَ : أَبَشِّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَمَرَ لَكُمْ » .

وقال رسول الله ﷺ :

« من قال - إذا أصبح - سبحان الله وحمده ألف مرة ، فقد اشترى نفسه من الله سبحانه وتعالى ، وكان آخِرُ يومِهِ غَنِيماً من النار »
أخرجه الطبراني والحرائطي .
وقال ﷺ :

« ليس من عند يقول لا إله إلا الله مائة مرة إلا وَبَعَثَهُ اللهُ يوم القيامة ، ووجهه كالقمر ليلة البدر ، ولم يرفع لأحد يومئذِ أَفْصَلَ مِنْ عَمِيهِ إلا من قال مثل قوله ، أو زاد » رواه الطبراني بسند يحمل به في الفضائل .

وقال رسول الله ﷺ :

« لا تَرَالُ » لا إله إلا الله « تَحْجِبُ غَضَبَ الرَّبِّ عَنِ النَّاسِ ، مَا لَمْ يُبَالُوا بِمَا ذَهَبَ مِنْ دِيَارِهِمْ ، إِذَا صَدَحَتْ لَهُمْ دِيَارُهُمْ ، فَإِذَا قَالُوهَا عِنْدَ ذَلِكَ ، قِيلَ : كَذَبْتُمْ ، لَسْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا » رواه البخاري بسند يعمل به في القصص .

وقال رسول الله ﷺ :

« من قال لا إله إلا الله يبقى ويفنى كل شيء ، عوفي من الهم والحزن » رواه الطبراني .

وقال رسول الله ﷺ :

« اذْكُرْ الله فَإِنَّه عَوْنٌ لَكَ ، عَلَى مَا تَطْلُبُ » رواه ابن عساكر عن عطاء مرسلاً

وقال رسول الله ﷺ :

« اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا حَتَّى يَقُولَ الْمُتَأَقِّقُونَ إِنَّكُمْ تُرَاعُونَ » رواه
الطبراني عن ابن عباس .

وقال رسول الله ﷺ :

« اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا خَامِلًا ، قِيلَ : وما الدُّكْرُ الْخَامِلُ ؟ قال :
الدُّكْرُ الْحَفِيُّ » رواه ابن المبارك عن حمزة مرسلاً .

وقال رسول الله ﷺ :

« أَفْضَلُ الْعِبَادِ ذَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِدَاكِرُونَ » رواه الإمام
أحمد في مسنده والترمذي عن أبي سعيد .
وفي الحديث القسبي : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، حِصْنِي ، وَمَنْ دَخَلَ
حِصْنِي أَمِنَ عَذَابِي) .

وقال رسول الله ﷺ :

« أَفْضَلُ الدُّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَهِيَ أَفْضَلُ أَنْحُسَاتٍ » .
وقال « أَسْمَعُ النَّاسَ بِشِمَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ خَالِصَةً مِنْ قَلْبِهِ » .

وقال ﷺ :

« مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَهَا ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَإِنْ
زَنَا وَإِنْ سَرَقَ ، قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثًا » .

وقال رسول الله ﷺ :

« إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِیَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعَوْا » .

قَالُوا وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ ؟

قال : « جَلَّتِ الذِّكْرُ » بكسر ففتح جمع حلقه - يفتح فسكون - وهي جماعة من الناس يستديرون كحلقة الباب وجاء في حديث آخر : تفسيره « رياض الجنة بمجالس العلم » وجاء في حديث : تفسيرها بالمساجد . وقد كان رسول الله ﷺ ، يبين لكل قوم ما يناسبهم . وقال ﷺ : « ما من قوم جلسوا مجلساً وتفرقوا عنه ولم يذكرُوا الله فيه إلا كأنما تفرقوا عن جبهة جبار ، وكان عليهم حسرة يوم القيامة » .

التمایل فی الذکر :

وما التمايل عند التهليل ، فقد قال الإمام الشعراني في الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية ما نصه . وما أنكروه عن انقوم تمايلهم يميناً وشمالاً ، عند قول : « لا إله إلا الله » . وقالوا م يرد بذلك نص ، إنما ورد الحث على ذكر الله من خير ذكر تمايل

والجواب . أن الخافض أبا نعيم روى عن الفصيل بن عياض ، أنه قال . كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا ذكروا الله تعالى تمايلوا يميناً وشمالاً ، كما تمايل الشجرة في الريح العاصف ، إلى فدام ثم ترجع إلى وراء ، فاعلم ذلك يا أحمى ، وإن كنت ولابد مُكراً ، فأذكر عني أهل المحرمات بالصصوص التي تراها في يدك وغيرها ولا تذكر عني أهل الله ، انتهى .

والسرُّ هي الالتدء باسمي من الجهة اليسرى كما ذكره بعض العارفين :
 أن النفس الأمارة فيها وهي نفس حيثة ، قال يوسف عليه الصلاة
 والسلام : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ وقال فيها نبينا عليه الصلاة
 والسلام : « أعدى أعدائك نفسك التي بين حبيبتك » ، وذكروا أن
 الشيطان من جندها لا يقدر على الدخول على الإنسان إلا بواسطتها
 وهي تحبِّل للعبد كل القبائح حتى الشرك فرد عليه بتقبيه والقب في
 الجهة اليسرى وهو محل الأسرار والأنوار فجعل لفظ الجلالة الشريفة
 عليها لتلقى أنواره وأسراره .

وأما حكم الأسرار والجهر به فاعلم أن الذكر سرًّا أفضل من
 خوف رياء وديه باثم أو مصل أو دري ولا فليجهر أفصل لأن
 العمل فيه أكثر وفائده تتعدى لسماع وتوقف قلب الذكر وتجمع
 همه إلى الفكر وتصرف همه إليه ويتردد اليوم وتزيد في الأنوار
 وأما قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ ﴾ ^(١) الآية . فأجيب
 عنه بأن الآية مكية نزلت حين كان النبي ﷺ يحضر بالقرآن فيسمعه
 الكفار فيسبون القرآن ومن أنزه ، فأمر بالترك وقد ران ذلك والأمر
 خاص به الكامل المكمل ﷺ الذي روحه أفضل الأرواح المقدسة ،
 وأما غيره ممن هو محل الوسواس والخواطر الرديئة فأمور بالجهر
 لأن له تأثيراً في دفعها

وأما قوله تعالى ﴿ اذْعُوا رَبَّكُمْ نَضِرُّكُمْ وَخَفِيَّةٌ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

(١) الأعراف . ٢٠٥ .

الْمُعْتَدِينَ ﴿١١﴾ . فذلك في الدعاء لا في الذكر ، والأفضل في الدعاء الإسرار لأنه أقرب للإجابة ، ولذا قال تعالى ﴿إِذَا نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ (١٢) وأما ما نقل عن ابن مسعود أنه رأى قوما يهللون برفع الصوت في المسجد فقال ما رأيكم إلا مبتدئين وأمر بإخراجهم ، فعبر ثابت بدليل ما في كتاب الرهد بالسند إلى أبي وثل أنه قال : هؤلاء الذين يزعمون أن عبد الله كان يهوى عن الذكر ما جالسته مجلساً قط إلا ذكر الله أي جهرًا ، ومما يدل على طلب رفع الصوت بالذكر .

خبر البيهقي : أن رسول الله - ﷺ - مرَّ برجل في المسجد يرفع صوته بالذكر فقبل به . بارسول الله عسى أن يكون هذا مُرائيًا ، قال . لا ، ولكنه أَوَّاهٌ ، وخبره عن جابر . « أن رجلاً كان يرفع صوته بالذكر فقال رجل بو أن هذا يخفض صوته ، فقال رسول الله ﷺ : إنه أَوَّاهٌ أي كثير التوهم من حرارة العشق لله ، فلم يطق إلا رفع الصوت بذكره .

وبالجملة فكثر الأحاديث دالة على طلب الذكر سرًّا وجهرًا لإطلاقها وأما الأحاديث المقيمة بالسُّرِّ فقد تقدم رجهه . وأفضله وأنفعه ما كان يحصور قلب ، ومجرد ذكر اللسان مع العملة لا يحرم الآتي به من الثواب : فلا يسعى لمن حُرِّم فضيلة حضور القسب أن يترك الذكر اللسني ، وقد يوسوس الشيطان له فيقول به : ما فائدة ذكرك مع عملة قلبك ، فلا تمل إليه ودم على ذكرك مجاهدًا في ذلك اللعين ،

(١) الأعراف : ٥٥ .

(٢) مزيم : ٣ .

وارج وصول ذلك إلى القرب فيتحلى بالكمال ، وإن كان الكل
يكرهون الذكر مع العجلة نظراً لحالهم » ا هـ .
فإذا ما صدقت التوبة وبدء المريد على الذكر أثمر ذلك التقوى
وعن التقوى يقول أبو الأنوار
التقوى ثلاثة أقسام :

- ١ - تقوى انعام ، التَّزَهُ عن الكفر .
 - ٢ - تقوى الخواص ، التَّزَهُ عن كل معصية
 - ٣ - تقوى خواص الخواص : التَّزَهُ عن كل ما سوى الله تعالى .
- وبماسبة ما رواه زين بن سلمة عن رسول الله ﷺ من قوله :
« اتَّقِ اللَّهَ فِيمَا تَعْلَمُ » .
يقول أبو الأنوار :

(وقوله . اتَّقِ اللَّهَ ، أى حبه واحش عقابه والتقوى جعل
وقاية بين العبد وبين غضبه تعالى ، وهى امثال الأوامر ، واجتناب
النواهي وسمى امثال ذلك تقوى لأنه يقى الشخص من النار
قوله : (فيمما تعلم) قيد به إشارة إلى أن الحاحل ، لا يتأتى منه تقوى ،
فعليه أن يتعلم أولاً المأمورات والمنهيات ، ثم يمتثل ذلك » ا هـ .
وإذا ما صدقت التقوى أنتجت « الاستقامة »
والحديث الشريف الذى رواه الإمام أحمد وغيره عن عدة من
الصحابه وهو :

« اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ ،
وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ » .

يقول عنه أبو الأنوار ما يلي :

(قوله . واعلموا إلخ) أشار إلى أن من لم يقدر على أنواع
الاستقامة فليحرص على أقوى أسباب الاستقامة وهو الصلاة والوضوء
وأطلق الوضوء ليشمل تطهارة الخسبة والمعوية قال العلقمي : حاتمة .
قال السهبي : رأيت النبي ﷺ في المنام ، فقلت له : روى عنك
بارسول الله أنك قتت . شيتي هود ، فما الذي شيتك منها ؟
أشيتك منها قصص الأنبياء وهلاك الأمم ؟ فقال . لا ، ولكن إنما
شيتني قوله تعالى ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾^(١) . إ . هـ . إذ قوله .
« كما أمرت » يدل على أن الاستقامة تكون معرفة فمن كملت معرفته
ربه عظم عده أمره ونهيه فإذا سمع « كما أمرت » علم أنه طولب
بالاستقامة تليق بمعرفته بكمال الأمر ، وحقيق لمن فهم ذلك أن يشب
بذ لا يطيق أحد أن يأتي بعبادة على حسب ما يعرف من عطمة
ربه ، بل لابد أن يستصغر جميع ما يأتي به وإن كان كاملاً بالإضافة
إلى عظمته ، ولذلك لما نزل ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾^(٢) فبقت
الصحابة خوفاً من كونهم لا يقدرول على القيام بمعنى ذلك ، فأمر
الله رحمة لهم : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾^(٣) انتهى بحروفيه بخط
الشيخ عبد البر الأجهوري .

(١) هود : ١١٢ .

(٢) آل عمران : ١٠٢ .

(٣) البقرة : ١٦٠ .

ومن المقامات العامة بالنسبة للصوفية : الزهد .

وعن الزهد يقول رسول الله ﷺ :

« ازهد في الدنيا يُحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يُحبك الناس »^(١) .

ويشرح الشيخ الحفنى هذا الحديث فيقول :

(قوله ازهد) من الزهد ، وهو لغة : ترك الشيء احتقاراً له سواء كان محتاجاً له أولاً ، وصطلاحاً ترك ما راد على حاجته من الحلال ، والورع ترك الحرام والشبهة في الدنيا أي الشائعة عن طاعة الله تعالى المترتب عليها صياع حقوق الخلق والحق وهي المعنية بـ : حديث تعس ، إلخ^(٢) .

وحديث الدنيا ملعونة ، إلخ^(٣) .

أما المعنية على الطاعة فممدوحة كما في حديث :

« نعمت الدنيا مطية المؤمن بها يصل إلى الخير وينجو من الشر » قال الماوى : وليس من الزهد ترك الجماع فقد قال سفيان بن عيينة كثرة النساء ليست من الدنيا فقد كان على كرم الله وجهه أزهد الصحابة وله أربع زوجات وتسع عشرة سرية .

(١) رواه عدة من المحدثين عن سهل بن سعد .

(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تعس عبد الديار والدرهم والقصبة والحبيصة ، إن أعطى رضى ، وإن لم يعط لم يرض » .

(٣) روى الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله سبحانه ووجهه والآله ، وعلمها أو متعلما » (وقال الترمذي حديث حسن)

وقال ابن عباس : حير هذه الأمة أكثرها ساء .

وكان الحسد شيخ لقوم يحب لجماع ويقول . إني أحتاج إلى المرأة كما أحتاج إلى طعام^(١) .

ويلتبس على بعض الناس مفهوم الرهد ، ومفهوم الترك ، وحيما شرح الشيخ الحنفى الحديث الشريف الذى رواه الحسن مرسلا وهو :

« حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ » .

قال ، مميّزا الفرق بين مفهوم الثراء المذموم ، ومفهوم الثراء الممدوح .

« قوله حب الدنيا » أى تعلق القلب بها والانهماك على تحصيلها بأى وجه كان ، كالمكاسين والمتحار الذين يحلفون كذبا لترويج السلعة ، أما إذا أحب جمعها لأصرفها فى مصارفها كإطعام الحائض فهو محمود ، لا خطيئة ، مضافا عن كونه رأس كل خطيئة ، ولما ورد نعمت الدنيا مطية المؤمن بها يصل إلى الحير ويجوز من الشر ، وهذه بصيحة منه عليه السلام لأئمة ، وإلا فكل واحد لا عى له عن الدنيا » .

« اتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ مَا يَفْتَنُ رِجْسًا ، وَمَا هُوَ بِشَيْءٍ مِنْ فُحُوشِهِ بِأَوَّلِهِ بِصِيدِهِ فِى الْآتِقَاءِ مِنَ النِّسَاءِ » .

(قوله اتقوا الدنيا) المراد بها كل ما يشغل عن الله تعالى من ذهب وفضة وغيرهما ومنه تعنى عبد الدرهم ، تعنى عبد الدينار ،

(١) حاشية الحنفى على الجامع الصغير ج١ ص ١١٧

بخلاف مالا يشغل عن الله تعالى ، بل يستعين بها على مصاحبه ،
فهي ممدوحة ، ومنه : « نِعِمَّتِ الدُّنْيَا مَطِئَةُ الْمُؤْمِنِ » الحديث ،
فهي من حيث ذاتها لا تدم ولا تمدح ، وإنما هما من حيث ما
يعرض لها قال الشاعر :

هي الدنيا تقول بمن فيها .. الخ هي كحبة فيها تريف وسم ،
فلا يسلم من سمها ويأخذ تريقها إلا الحكيم الماهر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رسالة في فضل الذكر والتسبيح والتهليل

إذا آتاك الله مالا فمير أثر نعمة الله عليك وكرامته

عن وائد أبي الأحوص ، إذا آتاك مالا فمير عليك ، فإن الله يحب أن يرى أثره على عبده حسنا ولا يحب البؤس ولا التباؤس ؛
والضياء عن زهير بن أبي علقمة .

(قوله آتاك) بعمد الحمزة قلير الخ

أى فالبس الثياب الحسنه بقصد حسن كيصهر نعمة الله تعالى ويدخل فى قوله تعالى : ﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(١) أى اقصد باللس شكر الله على نعمه ، وعمله . إن لم تكن تحت يد شيخ مرب لك لأحل أن يطهرت فالأور لك حينئذ لس الخشن . فإذا طهر قبلك فالأولى لك لس الثياب الحسة ، ونقل أن سيدنا الحسن لبس ثوبا بأربعمئة دينار فقل له بعض أهل الله تعالى . ثوبت لين ، فعان به سيدنا الحسن . إن قصدت به شكر نعمة الله فكم من لبس أعلى لثياب وقلبه فى التواضع والخشوع ، وورد أنه عليه السلام لبس حلة بشمن . يفي وثلاثين ناقة ، يظهرها لنعمة الله ، ولاقتداء به

(١) إبراهيم ٧

عليه في ذلك مطلوب لكن بالشرط السابق ، (قوله البؤس) أى التحشش فى ملابس و اظهار المافة ولا التباؤس أى اظهار التحزن والتخلفن . ا ، هـ الحاشية ص ٥٣ .

أما عن المحبة : فإن أيا الأنوار ينقل عن أئى الحسن ما يلى من نصوص عدة ، إنه يقول :

« قال العارف بالله تعالى أبو الحسن الشاذلى فى رسالة القصد^(١) :

المحبة من الله أخذته لقلب عبده من كل شىء سواه ، هوى النفس مائدة لطاعته ، والعقل متحصناً بمعرفته ، ولروح ماحودة فى حصونه ، والسر مغموراً فى مشاهدته ، والعبد يستزيد فيراد ، ويعالج بما هو أعذب من لديد مناجاته فيكسى حلل التقريب على بساط القرية ، ويمس أبكر الحقائق وثبات العلوم .

وقال رضى الله عنه . « أوصاف أحب أن يكون دائم الفكر ، كثير الدل قليل لعبادة ، دائم الصمت ، لا يحاف ولا يرجو ، لا يسمع إذا نودى ولا يبصر إذا نظر » .

وقال رضى الله عنه :

لحب على الحقيقة من لا سلطان على قلبه لغير محبوبه ولا مشيئة له مع مشيئته .

وقال رضى الله عنه :

(١) رسالة القصد هى رساله « القصد إلى الله » ومنها مخلوطة فى المكنب التوسيه وهى عبارة عن مجموعه من كلام أئى الحسن لا تكاد تخرج عما فى الكتب المطبوعة ، ويسر أنها من جمع أحد المريدين

« حرام عليك أن تتصل بالحبوب ويبقى لك في العالمين مصحوب » .

وقال رضى الله عنه :

إذا معك مما تحب وردك إلى ما يحب فذلك من علامه محنته لك . ويقل الحفنى عن الشيلى ما يلى :

عن الشيلى أنه قال مرة لتلميذه احصرى فى بداية أمره يا حصرى ، إن خطر فى بالك من الجمعة الثانية غير الله فلا تحضرنى ، فإنه لا يجىء منك شيء .

وللحلاج سهم موفور فى المحبة ، وحصى يشغل عنه هذه الدرر النفسية فى مقام المحبة فيقول .

« ومن كلام الحلاج : إذا تحلص العبد إلى مقام المعرفة أوحى إليه بخواصره ، وحرس سره عن أن يسبح فيه غير حاطر الحق ، ثم قال :

ومن علامات العارف أن يكون فارغاً من أمور الدنيا والآخرة ، مستقلاً بالله .

وسئل عن صفة المريد فقال هو الرامى بأول قصده إلى الله فلا يهرج حتى يصل .

وسئل عن التصوف وهو مصلوب ، فقال أهونه ماترى . وكان يقول : من لاحظ الأعمال حجب عن المعين له (وهو الله تعالى) ومن لاحظ العمى له حجب عن الأعمال .

وكان يقول : لا يجوز لمن يرى غير الله أن يدعى أنه عارف
بالله عز وجل .

وكان يقول : من أسكرته أنوار التوحيد حجته عن عادة التجريد ،
ومن طلب الحق بوزر الإيمان كمن طلب الشمس بنور الكواكب .
يريد أن يقول :

اطلب الحق بنور الحق ، لا تجعل بينك وبين الحق واسطة فهو
أقرب إليك من حين الوريد .

وكان يقول : من شرط التوكل ألا يأكل شيئاً وهو يعلم أن في
بطنه من هو أحوج منه .

وللصوفية أبحاث عميقة جميلة عن اليقين في مختلف درجاته
وعن ذلك يقول الحفي . « قوله : يقيناً » ، في الفتوحات الإلهية
في نفع أرواح الدوات الإنسانية لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري
ما يوضح المقام ، ونص عبارته : اليقين ظهور نور الحقيقة في قلب
المؤمن عند كشف الأستار البشرية بشهادة الوجدان والذوق ، لا بد
لآله العقل والنس : وذلك يحصل بالجزم ومطابقة الواقع ، ويطلق
اليقين مجازاً على نتيجة ذلك وهي اطمئنان القلب ووثوقه بموعود
الله تعالى ليستريح العبد من تعب الشقاء في تحصيل المرافق الدنيوية ،
فيكون حقيقة فما هو من قبل الأحوال والمقامات مجازاً في ثمراتها ؛
وقيل مشترك بينهما ، وعدم اليقين ما حصل عن نظر واستدلال ،
وعين اليقين ما حصل عن مشاهدة وعيان ، وحق اليقين ما حصل

عن عيان ومباشرة ، فالأول منها كمن علم بالدليل وجود الجنة ،
والثاني كمن حصرها وشاهدها ، والثالث كمن شاهدها ودخلها .

ويزيد الشيخ الحصى الأمر وضوحاً فيقول :

« قوله علم اليقين » قال الشيخ قاسم في كتابه « السير
والسلوك » علم اليقين هو العلم الحاصل من الدليل العقلي ، وعين
اليقين هو العلم الحاصل بالمشاهدة ، وحق اليقين هو فناء صفات
العبد في صفات الحق وقاؤه به علماً وشهوداً وحالاً لا عدماً فقط ،
ولدى ينسب على التحقيق صفاته لاداته ، فحينئذ لا بد من بقاء عين
العبد الفاني فلا تفنى داته في ذات الحق كما يفهمه الجاهلون الذين
كذبوا على الله ، بل إن العبد كلما تقرب إلى الله بالعبودية وإظهار
انعجز والفناء عن جميع الصفات المناقضة لعبودية ، وهبه الله تعالى
فضلاً منه صفات حميدة حقيقية عوضاً عما فنى منه من الصفات
الذميمة الحلقية ، والله تعالى هو القادر على كل شيء والعبد هو
العاجز عن كل شيء ، فمتى شاء أذهب عن العبد ما فيه من الحوائث
وأمره بما يعجز عنه كل ما سوى الله تعالى فلا مانع لما أعطى ولا معطى
لما منع ولا راد لما قضى ولا مدلل لما حكم ، فإذا وهب عبده
العاجز ما وهبه تصرف في الأكوان بإرادة سيده » ١ هـ

وبمأساة الحديث عن اليقين يتحدث الشيخ عن سيدنا على كرم
الله وجهه فيقول :

« وقوله من البراهين » هذا بيان لعلم اليقين المتصف به هذا
الإمام كرم الله وجهه كاصفاه باليقين نفسه قبل نظره في الدليل

فإنه قد ظهر نور الحقيقة في قلبه عند إزالة شرك البشرية عنه في حال تميزه ، ولذلك بادر بالإسلام قبل بدو فتاومه .

(قوله : ومن ثم فاختص) عبارة الشارح في الفتوى وجه اختصاص على بذلك [أى - كرم الله وجهه] عوضاً عن الترضى [أى رضى الله عنه] أنه لم يسجد لصنم قط فناسب أن يدعى له بما هو مطابق لحاله من بكرمة الوجه ، والمراد به حقيقة أو الكناية عن الذاب ، أى حفظه أن يتوجه لغير الله في عبادته ويشاركه في ذلك أبو بكر ، فإنه لم يسجد لصنم أيضاً ، كما حكى عنه فناسب أن يدعى له بذلك ، وإنما كان استعما ذلك في حق على أكثر لأن عدم سجوده لصنم أمر مجمع عليه ، لأنه أسلم وهو صبي ميمر ، فإن قلت : كثير من الصحابة لم يوجد منهم سجود لصنم كالعبادة ابن عباس ، وابن عمر ، وابن الزبير وغيرهم ، ومع ذلك لا تقول الناس فيهم ذلك بل لترضى كغيرهم .

قلت . هؤلاء ونضراؤهم إنما ولدوا بعد اضمحلال الشرك ، وحمود نار الضلالة والفتنة فلم يشبهوا ذيك الإمامين في تركهما أكبر فتن الشرك من السجود للصنم مع دعاء أهله لناس بذلك ، ومبايعتهم في إيذاء من ترك ذلك ، وكان في الترك حيثئذ مخالفة الآباء والأقارب وتحمل لمشاو التي لا تطاق من الدلالة على الصدف ما ليس فيه بعد ظهور الإسلام ورهوق الضلال ، فناسب حالهما أن يحير عن بقية الصحابة ، بهذه الخصوصية العظيمة رضي الله عنهما وكرم وجههما

ويبه الشيخ الحصى في معنى « لمعه » حينئذ وردت ويبين مدهيستها

فى مختلف رواياتها وذلك بمساسة عدة أحاديث وردت فى ذلك ،
مها :

قال الله تعالى : « عَبْدِي أَنَا عَبْدٌ ظَلْتُ بِي وَأَنَا مَعَكَ إِذَا ذَكَرْتَنِي »
(ك) عن أنس .

(قوله . وَأَنَا مَعَكَ) المعية ثلاثة أنواع معية العوام . معية علم ، ومعية
الحواصص معية انصباب الرحمة ، ومعية خواص الحواصص معية الحفظ
والعصمة من كل ما لا يليق . وإذا قيل . الله مع العوام أى بالعلم ، ومع
الحواصص أى بانصباب الرحمة عليهم بحلاف العوام فليسوا أهلاً
لانصباب الرحمة عليهم وإثباتهم الثواب الجزيل كالحواصص وإذا قيل الله
مع خواص الحواصص أى يحفظ جوارحهم عما لا يليق بمقامهم فى ساحة
القرب منه تعالى إذا سألوه أعطاهم إلح .

ومن هذه الأحاديث :

« أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ »

(قوله : أَفْضَلُ الْإِيمَانِ) أى أفضل الثمرات التى يتحلى بها المؤمن
من ثمرات الإيمان أن تعلم .. الخ أى عندما شهودياً ، لا علماً برهانياً ،
لأن أفضل الثمرات إنما هو عدم الشهود بحيث لا يشغله عنه ملاء ولا
خلاء ولا نعم ولا نقم ، ومن كان ذا حله كان شاكراً فى حالة اسراء ،
صابراً فى حالة الضراء ، راضياً فى حالة الفقر ، وإذا وقع فى ذنب أفلح
وصبر على مع نفسه من شهواتها ، وإذا كان فى طاعة جد فيها

(قوله . أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ) أى بالمعونة والإلطف والإسعاد
والإسعاف والمعنى : أنه معك ومطلع عليك فى سائر الأوقات ، ومن

علم أن الله كذلك لرم الأدب ورأى الحقوق على وجهها التي أمر بها
وهي عنها ، وقال بعض السادة لتدميده . حد هذا الصائر وأدركه في
محل لا يراك فيه أحد ، فحده وتوجه لما أمر به ، فدخل محلاً خرباً لا
يطلع عليه أحد من الخلق ، فمما هم بدعته قال في نفسه استأدى
أمرى بذبحه بمحل لا يرى فيه أحد والله مطلع على فردته إليه بلا دبح ،
فرجع إليه بلا دبح ، فقد لم يمت لفعل ما أمرت به ؟ فقص عليه الأمر ،
فعند ذلك عرف الشيخ أنه قد وصل ، والله أعلم به يحفظ الشيخ
الأجهرى .

ومها :

« الله مع القاضي ما لم يجر ، فإذا جاز نحى الله عنه ولمره
بشيطان » (ت) عن عبد الله بن أبي أوفى .

(قوله مع القاضي) أي دعوى وانصر بقرينه المقام إذ لو قيل معه
بالعلم والإحاطة كما هو القاعدة لم يكن له خصوصية بل جميع الناس
كذلك ، وإنما كانت القاعدة ما ذكر لأن ابن شاهين سأل الحنيد عن
« مع » المضافة له تعالى فقال له إن كانت هي جانب المرسل نحو .
إني معكم أسمع وري . ونحو الأولياء مخمطين فمعناها النصر والحفظ
وإن كانت في جانب العامة نحو . ما يكون من نحوى ثلاثة الح
فمعها العلم والإحاطة (قوله . فإذا جاز اح) ليس في زمان هذا ،
بل وقوله بأمد طويل ، من قصص إلا والله تعالى متخل عنه غير رض .
وانشيطان ملازم له بالعوية التي منها الجور في الحكم وأكل أموال
الناس بالباطل ، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعِ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ

وأولئك هم العافلون ، لا حَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴿١﴾
 وقد قسم بعضهم القصصة على ثلاثة أقسام : أحدها في الجنة ، والآخرة
 في النار ، فالأول : من علم الحق وعمل به وقد تعمَّرَ بِلَ تَعَدَّرَ وجوده
 فيما أعظم ، والثاني : من علم الحق ولم يعمل به وهو كثير ، والثالث
 من جهل الحق ولم يعمل به وهو أكثر عافانا الله من ذلك

ونحنم هذا الطريق العام بتوجيهه نفيس لرسول الله ﷺ وهو قوله :
 « تَعْرِفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرِّخَاءِ يَغْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ » أبو القاسم بن
 بشران في أماليه عن أبي هريرة .

ويشرح الحنفى هذا الحديث فيقول :

(قوله : في الرِّخَاءِ) أى في حالة العنى وصحة البدن والأمن ،
 فالتعرف في حال العنى بالصدقات ونفع الدس بماله، والتعرف في حالة
 الصحة بالعبادات ، والتعرف في حالة الأمن وحلو الدهن الاشتعال
 بمولاه تعالى لحلو دهنه عن العدو والحواف، ولذا لما عرف الدين سد
 عليهم العار ربهم في الرِّخَاءِ وذكر كل عمله الذى قصد به وجه الله
 تعالى فرح عنهم في الشدة ، وكذا سيدنا يونس لما عرف الله تعالى في
 الرِّخَاءِ بالتسبيح وغيره نجاه من شدة الخوف ، ولما لم يتعرف مرعون
 ربه في الرِّخَاءِ لم ينجه من العرق حيث استغاث ، وتعرف أهل الله تعالى
 الاشتعال به تعالى على لدوام وترك ما سواه فيعرفهم وقت الموت وانقبر
 ونحو ذلك .

(١) النحل : ١٠٨ ، ١٠٩

الحفنى شيخاً للأزهر

وبعد حياة طويلة (تحوّاً من سبعين عاماً) تولى الحفنى مشيخة الأزهر .

لقد كان منصب شيخ الأزهر فى عهد الشيخ الحفنى له جلاله ، وله قداسته وقد سبق أن كتبنا ما لى :

لقد كان منصب شيخ الأزهر يمثل فى مصر « الخلافة » . وقد كان شيخ الأزهر يعرف للمصعب حقه ، وكان يشعر بأنه أب لجميع المسلمين ؛ وهو باعتباره أباً يحتل مكان الأبوة فى شعور واضح به . إنه مسئول عن سلوك أتباعه . عن سلوكهم أفراداً ، وعن سلوكهم شعباً ، وعن سلوكهم حكّاماً .

وكان الشعب يذهب إلى أبيه إذا نزلت به نارلة ، وكان الخكام يذهبون إلى شيخ الأزهر فى أمورهم الخطيرة .

وكان شيخ الأزهر قوياً فى تواضعه . عريزاً فى حكمه .

فى ذلك الزمن كانت الخلافة لرسول الله ﷺ فى تركيا ، وكانت تركيا معقد آمال المسلمين بسبب الخلافة ، وكانت أعين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها تحتد إلى تركيا راجية ومتوسلة . مستنصرة أو ناصرة .

إن الخلافة فى تركيا جعلت المسلمين يتطلعون إليها كرمز لرسولهم

ووثم على دينهم ، وساهر على مصابيحهم ، وكان الكثير من هؤلاء
الحلفاء يشعرون بالمسئولية ملقاة على عاتقهم ، ويعملون ما استطاعوا
بخدمة المسلمين ، وينشر رسالة الله .

وكان جيش الحنابلة معداً بقدر لاستقطاعه لإغاثة المظلومين
من المسلمين أينما كانوا

لقد كان للحنابلة قداسة ، وكان هم هيبه في الشرق والعرب ،
وكانوا يقولون فتتصفى الدنيا لقولهم .

وكان شيخ الأزهر في مصر يحمل نفس الإحلال والتقديس
إنه خيفة رسول الله في هذه البقاع ، وكانت تتمثل فيه صفات
يقوم الاختيار على أساسها ، كان يتمثل فيه .

١ - العلم المكتسب لدى تبحر الإنسان بدقائقه من الكتب
الخاصة بالعلوم الإسلامية ، كتب التفسير ، والحديث ، والفقه ،
وأصول الفقه وترجيده وعلوم العربية ، وكان يحترق على الأمر في
علم أو علمين من هذه العلوم مع إتقانه لقيتها ، وما كان ذلك إلا
لأنه كان يواصل الليل بالنهار في التحصيل

لقد كان العلماء إذا ذاك يستيقظون قبل الفجر ويتعبدون ويتجهجدون
ويسعون الدراسة بعد صلاة الفجر مباشرة ، يبدءونها على صهر
وروحانية ، وكان شيخ الأزهر طالباً وأستاذاً على هذا لغير
إبه كان عالماً .

٢ وكان على ثقة في الله سبحانه ، ومن أجل ذلك لم يكن
يحشى أحداً إلا الله إنه كان من هؤلاء الدين يحشون الله ولا يحشون

أحدًا غيره ، وكان ثقته في الله هذه تدلُّ له الأمور ، وتملأ قلوب
الأخرين هيبة .

والثقة في الله ينبثق عنها أمور كلها سامية ينبثق عنها ، طاعته
سبحانه ، وكان شيخ الأزهر دائمًا من العباد

وكان يستق عنها الإخلاص في السر والعلن ، والإخلاص من
المبادئ الأولى ابوابها في الإسلام .

وكان يستق عنها التوكل عليه سبحانه ، لأنه إذا وثق به فإنه
يتوكل عليه .

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(١) .

وكان يستق عنها فصائل أخرى كلها سام وراع .

٣ - وم يكن في ذلك انتمت شيخ الأزهر عنه على الحكومة .

وذلك أن لأزهر حفظ على الأمة لغتها وإيمانها ، فوعد له الأمة
من أجل ذلك بإحلالها واحترامها ، وبأوقاف كثيرة وقفتها عليه

نقد كان موقوفًا على لأزهر ما لا يكاد يحصى من أموال ، وكان
الأزهر يعيش في حدود أوقافه كريم النفس ، رافع الرأس ، وما
كان يشعر بصيق في دنيا :

إنه يعرف ماله ، وفي حدود دائرته ينبثق ولا يتجاوز دائرته

وكان صدر الحاكمين بصيق بذلك أحيانًا مما كان لهم في إخصاع
الأزهر من سبيل من ناحية الرزق .

(١) اخلاق : ٣

وَأُتخذَ الحَاكِمُونَ فِي عَصْرِ دَوْلَةِ مُحَمَّدٍ عَلَى يَحْتَالُونَ لِلْأَمْرِ حَتَّى
أَمَكْنَهُمْ بِالْمَكْرِ وَالْحَدِيدَةِ أَنْ يَسْتَوْلُوا عَلَى أَوْقَافِ الْأَرْهَرِ ، وَيَعْصُوهُ
مَالاً مِنْ خَرِيفَةِ لِدَوْلَةِ ، يَضِيقُ عَلَيْهِ فِيهِ سَوِيًّا ، وَلَا تَسَايِرُ الدَّوْلَةُ
نَمُو الْأَرْهَرِ وَتَطْوِرُهُ ، وَأَصْبَحَ الْأَرْهَرُ فِي ضَيْقٍ يَزْدَادُ ضَيْقًا كُلَّ عَامٍ

أَمَّا أَوْقَافُ الْأَرْهَرِ الَّتِي أُحْدِثَتْ مِنْهُ بِالْمَكْرِ وَالْحَدِيدَةِ ، فَإِنَّهَا شَرْعًا
مِنْ زَانَتْ لَهُ ، لِأَنَّ أَوْقَافَ الْبِرِّ لَا تُؤَحَّدُ هَكَذَا ، وَلَا يَغْيَرُ مَصْرُفُهَا ؛
وَكُلُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اسْتَوْلُوا عَلَيْهَا إِنَّمَا يَأْكُونُ حَرَامًا ، وَمَنْ يَأْكُلُ
حَرَامًا لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ عَمَلًا ، « وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَقْدِفُ بِاللُّقْمَةِ الْحَرَامِ
فِي خَوْفِهِ ، مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا » كَمَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ،
وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مَنْ يَأْكُلُ أَوْقَافَ الْأَرْهَرِ . وَلَوْ كَانَ قَدْ اشْتَرَاهَا
دَعَاءُ فِشْرَطِ اسْتِجَابَةِ الدَّعَاءِ طَيِّبِ الْمَطْعَمِ ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
حِينَمَا طَلَبَ مِنْهُ سَيِّدُنَا سَعْدُ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ لَهُ لِيَكُونَ مَسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ .

رَوَى ابْنُ مَرْدَوَيْهِ بِسَنَدِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : نُبِيتُ هَذِهِ الْآيَةُ
عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُونُوا مَعًا فِي الْأَرْضِ خَلَائِفًا طَيِّبًا » (١)
فَقَامَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ
مَسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ، فَقَالَ يَا سَعْدُ : « أَطِيبِ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مَسْتَجَابَ
الدَّعْوَةِ ، وَالْبَدَى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَقْدِفُ بِاللُّقْمَةِ الْحَرَامِ
فِي خَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَأَيُّمَا عَبْدٍ بَتَّ لَحْمُهُ مِنْ
السَّحْتِ وَالرَّيَا قَالَتَارُ أَوْلَى بِهِ » .

وَبِنْ هَذَا الَّذِي يَأْكُلُ أَمْوَالَ الْأَوْقَافِ إِنَّمَا يَتَقَلَّبُ فِي حَرَامٍ دَائِمٍ .

وبهذه المناسبة نُقصُها قصة ها مغراها الصادق

جاء عصفور إلى سيدنا سليمان عليه السلام وقال له

إني مع ما ترائى عنيه من صغر وضعف يصكس أن أهدم ملكك
هدمًا تامًا . ويتنسم سليمان عليه السلام ، ويسأله : كيف ؟

فقال : أذهب إلى البحر فأبتل فيه ، ثم آتى إلى أرض من أرض
الأوقاف وأتمرع فيها ، فيعثر بي من ترابها ، ثم آتى إلى قصرك
فأنقص نفسي فيه . فما إن يحصل في بيتك من أرض الأوقاف
شيء إلا كان ذلك سببًا في حراب قصرك وملكك .

ومعنى القصة صادق ، وثمرة المعنى الصادق رهبة

ويقول أسلافنا رضوان الله عليهم

حيثما تخرج من أرض أوقاف كنت سائرًا فيها منفض رجلتك
وملاستك حتى تخرج منها وأنت على ما يشبه ياقين من القاء من
آثارها .

إن الأوقاف الخيرة لأهلها لاتباع ، ولا تصرف في غير مصارفها
إنها لما وقفت عنيه . وإلا فهي دمار يصيب المتسبب والأكل والمالك
والمحيط كله .

ولابد من رد مال الأرم إلى حيث تكون البركة ويكون النماء
ويكون الخير ، وهذه الأوقاف ثابتة في حجج ، وما زالت هذه الحجج
محفوظة وكما اغتصبت دولة محمد على هذه الأوقاف فإنها يجب أن
ترد ثانية .

هل من حيرين يتبنون الفكرة ؟
هل من منجيين للأرهر يعاونون على رد أوقافه إليه ؟
هل من محتسب يبدأ ؟

لعل وعسى ، والحير في الناس ما زال باقيا
؛ وكان علماء الأرهر ، وكان شيخه عارفين عن دنيا يشكالب
عليها الناس ، وعن رئاسات بحرى وراءها الكثيرون
وحد مثلاً الشيخ عبد الرحمن الشريبي الحطيب :
لقد عرّضت عليه مشيخة الأرهر فأبى ، فعرضت على غيره من
العلماء فلم يقبها واحد منهم ، وعلى كل منهم امتناعه عن لقبور ،
إن الشخ الشريبي أحو بها مه ، واجتمع الجميع على أنه تقدم
بينهم لهذا المنصب

وقبل الشيخ الشريبي هذا انصب على أن يعين له وكيل ، ولكنه
ما لبث بعد هذا أن استقال بعد أن استقر في هذا المنصب ثا عشر
عاماً ، وكان له نشاط علمي بارز

لقد كتب على المطول في الملاعة .
وكتب على البهجة في فقه الشافعية .
وكتب على جمع الجوامع في أصول الفقه .
وتوّج ذلك كله بتفسيره الكبير .
ومثال آخر : إنه الشيخ سليم البشرى :

لقد تولى المشيخة عام ١٣١٧ هـ ، ورار مع الحديوي عباس
معاهد الأرهر ، وكان قبل توبه ، مشيخة رئيساً لمحة إصلاح الأرهر ،

وقدم مشروع الإصلاح الذي أصبحت تبعاً له رئاسة الأزهر لشيخ الأزهر ، وأصبحت مشيخته مشيخة نظامية .

أما عن نشاطه العلمي فقد كان يقرأ في المجر صحيح البخاري ، وكان له إسهام في الحديث وثف عدة كتب في الأدب والتوحيد والنحو ومنها شرح البردة وغيرها

ولما هدم مصطفى كمال لحلافة ساء على حطيط محكم لتمييز مسلمين وإصعاقهم راد تطلع الناس إلى الأزهر وأملهم فيه .

لقد عُرض على السلطان عبد الحميد رحمه الله مبالغ ضخمة : عشرات الملايين للدولة العثمانية ، وعشرات الملايين لنفسه شخصياً ليسمح بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، فأبى السلطان إبقاء مسلم المؤمن ، وكما أحوا عليه وأكثر من الأرقام المالية التي تدفع كما كان يمانه بربه أكثر ، وسد ذلك الزم وصع التخطيط هدم الحلافة ، أما الأداة المفيدة هي كثير من لحة هي أتاتورك

سدا هل أتاتورك ، ومادا كان موقف المسلمين منه ؟ لقد أقامت الدعاية لمصطفى كمال العام الإسلامي للعصف عليه ، وأعلنت أنه مسلم يعمل لنهضة الإسلام وتثبيت الإيمان .

ولا استتب له الأمر أبداً عن نواياه لشيطنية ، فأرل الحلافة وإزالة الحلافة أمر في غاية الضرر بالنسبة لتركيا ، فقد نزل بها أولاً من دولة في الدرجة الأولى يحشى حسابها إلى دولة في الدرجة الثالثة أو الرابعة أو العاشرة .

ونزل بها ثانياً من دولة تنزع العالم الإسلامي ، تأمر فيستحب .
إلى دولة لا دينية ، وفقدت تركيا بذلك الزعامة

ثم أخذ أتاتورك يضرب بمعاوله في وجه التشريع الإسلامي .
وهي رأسه ، وهي جسمه ، فأزال لقانون الإسلامي ، وحل محله
القانون الوصفي حتى الأحوال الشخصية أفسدها إفساداً يعضب الله
رَسُولُهُ ، فأباح رواج المسلمة بالنسبي حتى ووصل به الأمر إلى أن
كان يضرب بالرصاص من ليس الرى الإسلامي ، وأعلن لا دينية
الدولة التركية ، وفصلها عن ماضيها ، وجعلها بكل ذلك دولة لا
في العبر ولا في الفير ، وحينما يكتب لتاريخ الإسلام على حقيقته
سيرى ساس أن أتاتورك كان من المفسدين .

أما اللغة العربية فكان يسه ويبها ثاراً لقد غير الحروف العربية
وكتب التركية بالحروف اللاتينية ، فأزال بذلك ما كان بين اللغة
العربية واللغة التركية في دحية الكتابة ، ثم قام بما سماه تصفية
اللغة فأزال منها الكلمات الكثيرة العربية التي كانت بها ، وباعد
بذلك بين اللغتين في تلحية الموضوع .

وحينما حدث هذا في تركيا :

تطلعت العيون إلى الأهر : إذ لايد للناس من أب روجي ..

ونظروا إلى شيخ الأهر على أنه شيخ إسلام ، وكان شيخ
الأهر في المستوى المأمول فيه . عاناً كأحسن ما يكون العلماء
رهناً إيجابياً كأفص ما يكون الرهاد لإيحييون ، مؤمناً بالله ،
وآثقاً فيه .

إنه يشهد أن لا إله إلا الله ، يشهد بها حقها فيرتفع إلى المستوى
اللاتى بالأب الروحي ،

واحتلت مصر منذ ذلك الحين مركز الرعاية الدينية في العالم
الإسلامي ، احتلت مركز الرعاية بسبب الأزهر الموجود فيها
والمواقع أن الأزهر مكث ألف عام يقوم على الحفاظ على اللغة
العربية وعلى الدين الإسلامي .

وحفظ اللغة العربية بهذا البحث الدائب الدائم هي اللغة العربية ،
ووقف في وجه كل النزعات التي أرادت بها شراً
إنه وقف في وجه الدعوة - بالمسحافة إلى العامة .

ووقف في وجه الدعوة الملحدة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية
إن طائفة من المحرفين أرادوا أن تغير الحروف العربية لتتصل
الكتابة عن ماض من التراث عميق ، والله يعلم أنها ما أرادت
إلا الإفساد .

وبدأ بهذا الانحراف أتاتورك ، وكان في أساس هذه الحركة كل
أعداء الإسلام ، أحلب بعض الدول - مستجيبة إلى محطط
الاستعماريين والملاحدة والمحرفين على أي وضع تغير الحروف
بالفعل ، والبعض الآخر يمكر في تغييرها

رأى أنس هنا في غير لباس ولا عموض أن كل دولة فعلت
هذا إنما فعلت ما يغضب الله ورسوله بل ما يمقته الله ورسوله ،
وأن الذي ييؤء بالإثم إنما هم المقذوب والراضون بالتفقيذ ، وأنه

يجب وجوباً دينياً أن يثور المؤمنون ضد هذا ويعارضوه ، كما أمكن
التعبير إلى الحروف اللاتينية فإنه يمكن - وبصورة أسهل - التغيير
إلى الحروف العربية .

وقام الأهرام صلة قرون على الحفاظ على العقيدة الإسلامية ووقف
في وجه كل أعراف في العقيدة آت من الشرق أو من غرب
ووقف في وجه هذا العرو الفكري الآتي من الشرق أو من
الغرب .

إن للأمة الإسلامية رسالة هي رسالة الله إلى العالم : آخر الرسائل ،
صعبها الرحمة لكل عوالم الله في الأرض وفي السماء ، ومن مبادئها
العم وتركية النفس ﴿وَيُعَمِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾^(١)

وهذه الرسالة - نقية صافية - هي سر لوجود الأمة الإسلامية
فإذا ما صحح العرو الفكري في الخروج بهذه الرسالة عن طبعها
الرباني فإنه لا يوجد ما يبرر وجود أمة الإسلام

ولقد قام الأهرام طيلة قرون في وجه الرحف الفكري ليس أساس
رسالة الله ، آخر الرسائل ، صافية نقية .

ومن هنا كان المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يدينون
للأهرام بانفصال يدينون جميعاً له بالانفصال في عقيدتهم ، وتدين له
اندول العربية بالفضل في الدين واللغة .

وكان الأهرام ومارا مقصد عدد هذه الشعوب ، وإذا سار شيخ

الأرهر فيها امتدت إليه الأعين ، وأصغت إليه الأذن ، وهفت إليه
الأفئدة ، وغمره الناس بحبهم وتقديسهم .

وكذلك يفعلون مع المشايخ المتحرجين من الأرهر ، والذين يلبسون
الزى الأزهرى .

وهذه المكانة للأرهر يعترف بها المستعمرون والمشرور . يقول
أحدهم . إن العمامة البيضاء في أفريقيا السوداء أحضر عينا من
القبيلة الدرية .

ويقول آخر :

لا يتأتى لنا الاستقرار في هذه البلاد مادام الأرهر موجوداً

وتسائل :

لمادا لم يستمر الأزهر على ما كان ؟

والواقع أن هناك عوامل كثيرة تكافقت على الرول بالأرهر عن
مكانته ، ومن أهم هذه العوامل هذا الاستعمار وهذا لتبشير وتبين
بما سبق أنه كان لابد في نظر أعداء الإسلام من هدم الأرهر

وبدأت عوامل الهدم :

بدأت السخرية بعماء الأزهر ، سواء أكان ذلك في المراحل
الأولى من التعقيم أو في المراحل النهائية ، ومن المتحرجين والعلماء .
بدأ ذلك في التمثيليات ، وفي الأفلام ، وفي الصحف ، وفي
المجلات .

وكان المثل الصارح هو تلك القصة التي كتبها أحمد كاد أنكتب

بهرسا ، واتخذ من قسيس فيها محالا لسحرته وتهكمه ، فإذا بالتليغزيون يخرجها ثيما متولية منحداً فيها « شيناً » مجالاً لتهكمه وسحرته ، ولم يجد المخرج أو المشرف من يقول له إن هذا انحرف ، ولم يعاقبه أحد ولم يسيئ إليه إنسان .

وهذه الأقلام المأجورة التي تكذب هنا وهناك عن التشكيك في الدين وفي القيم الأخلاقية ، وفي الهجوم على التشريع الإلهي !! إنها لا تجد من يقول لها . إنك أقلام مأجورة ، وإن أقل ما يمكن في أمثال أصحابك أن يزحوا في لسحن لتخرس منهم الألسن إن لكل بلد مقدسات ، ومن مقدسات أمريكا مثلاً النظام الرأسمالي ومن مقدسات روسيا النظام الشيوعي ، وهذه المقدسات لا تمس أليست العقيدة من المقدسات التي لاتمس ؟

إن المنحرفين عقدياً ، والمنحرفين أخلاقياً ، والمنحرفين اجتماعياً على اختلاف ألوانهم يسرحون ويسرحون كيفما شاعوا في الأقطار البرية ، فلا يجنون من يردعهم .

وتتكاتف الأفلام المأجورة ، والأفلام المستوردة أو المسحقة ، ووسائل الإعلام في العمل على التشكيك في العقيدة والقيم الأخلاقية والتشريع الرباني ، وشر التحلل الأخلاقي بكل الطرق

وهذه الآراء المستوردة التي تسامى مع الدين ومع المصيبة ، والتي يروجها اليهود في كل مكان : هل تجد من يقف في وجهها ؟ إن قراءة كتاب « بروتوكولات حكماء صهيون » مصد كل الإفادة لمعرفة لمخطط الحيث السى يقوم بتنفيذه اليهود .

إنهم يتبنون كل فكرة منحرفة ، وكل رأى ضال ، ويحاولون
عن طريق الصحافة والكتب والإذاعة الترويج لكل محل ، وإذاعة
كل قاسد .

لقد تعاهدوا في مواليقهم على نشر آراء طائفة معينة من الذين
اتحدوا مهمة إبليس في العمل على إفساد العالم ، والترويج لها .
إنهم يقولون .

نحن الذين ربنا نجاح كارل ماركس ،

لقد رتبوا نجاحه لأنه يفسد على الناس النظام الطبيعي والرباني
في لاقتصاد عن طريق امدح الشيوعى ، وهو مذهب يتنافى مع
الطبيعة ومع الأديان .

وهو من أجل معارضة الأديان له يدعو إلى إرالة الدين ،
ويقول عنه : إنه أفيون الشعوب .

ما قيل له ولكن لا بد من مدين عن الدين لأن الناس لا يعيشون
بعير عقيدة ، فإن إن التبديل للدين هو المسرح ، الهوهم بالمسرح ،
انشروا المسرح فى كل مكان فيجد فيه الناس سديل عن الدين ،
ثم إن الشيوعية عقيدة .

وأخذت معاور الهدم الشيوعية تنال من الدين فى كل مكان
تسود فيه الشيوعية ، وهى لا تنال من الدين بأسلوب فيه هودة
ورأفة ، وإنما تنال من الدين ومن رجال الدين بأسلوب عسف قاس .
إنها محارر نقام ودماء تسفح ، وسجون تملأ ، وتفنن فى
التعذيب ، أما الخراب فإنه ثمرة كل ذلك

وكارل ماركس يهودى

ويقول لليهود فى بروتوكولاتهم .

نحن الذين ربينا نجاح دارون

ودارون هو صاحب نظرية التطور أو الشهرة والارتقاء ، أو كما يقول

التعبير الشعبي ، الإنسان أصله قرد

وهى نظرية تشافى مع كل الأدوار التى ارتفعت بالإنسان معبرة

عن الحقيقة الكريمة . الإنسانية أصبها آدم حنقه الله بيديه ، وسواه

ونفخ فيه من روحه ، وبدأ إقامة بالجنة .

وفرق هائل بين اسطرتين .

ونظرية دارون م تشب ، وهى فى كل يوم ترداد ضعفاً ونوشك

الأوساط العنمية أن تلفظها نهائيا

إن الإنسانية منوره فى علوم يديه مكتسبة ، وهذه حقيقة

لاحدال فيها . لقد تطورت من الإبرة إلى ماكيه لخياطه ، هذه

المأكية التى تصورت هى الأخرى من حان إلى حال

وتصورت فى وسائل طهى الطعام .

وتصورت ومارالب فى جميع أدوب لطب وآلات هندسة .

ولكن الفكر عقيدة وأحلاق وتشريع - والمهر - والذكاء .

وانعقل . إن كل ذلك لا تصور فيه ، وبف عن الإنسانية الحالية عيوميها

امادية وما اكتسبه من ثقافة حسية متوالية ، ومرتب بعضها على

بعض ، سحده هى الإنسانية لتي كالب قبل لتدريج فكراً وعقلاً

وذكاء .

هذا هو الواقع ، أما إذا فلت إن الإنسانية متطورة عقلاً ودكاء ودهماً ، بحيث تكون قد هدمت كل القيم الفاصلة بحرة فلم ، وذلك أنه مدامت الإنسانية . فكر وعقلاً ودكاء ودهماً متطورة ، فإن كل قيمها الفاضلة الحالية نسبية متصورة معها . فلا يتأتى الحديث عن حق هي العقدة ، أو عن حق هي الأخلاق ، أو عن حق في التشريع ، أو عن حق في نظام المجتمع ، وتنهار بذلك الأخلاق ولأديان . والصيم والمثل . ولا يصح للإنسانية إلا الشهوات ولعرائر إذا حصعت القيم العليا بنسبية وللتطور فلا قيم ، وثمرة نظرية دارون أو خرافة دارون إنما هي هدم القيم العليا

ومن أجل ذلك رتب اليهود نجاحتها

ويقول اليهود :

عن الذين ربنا نجاح ، فرويد .

وفرويد هو العام اليهودي المربى ، ونظريته أكبر مثل على لتربية الذي يتحالف فيه المربى مع الشيطان ليمسدا الإنسانية في النظرة إلى فصائنها ومشها ومكارم الأخلاق فيها

به يعرفون بالنسحافة كل عمل وكل سعى إلى باعث من العريزة الجنسية ، وليس سعى إنسانيه إلا نوعاً من إرضاء هذه لغزيرة .

ورتب اليهود نجاحه ليحطوا بالإنسانية من مثل على وقيم ومكارم أخلاق إلى عريزة هي الغزيرة الجنسية

الرحمة ، الرأفة ، العطف على اليتيم والمساكين ، الشعور بضرورة

العدالة ، الإنصاف ، تركية النفس ، المروءة كل ذلك في أساسه
إنما هو الغريزة الحسية .

وليس غريب أن يقول فرويد اليهودي ذلك ، وليس غريب أن
يرتب اليهودي نجاحه من أجل ذلك ، لأن في ترتيب نجاحه هدم
بمعاول من فولاد لكل مثل الديانة الكريمة .

ويقول اليهودي : بحر الدين ربما نجاح بيتشه .

وبيتشه هو المكر للأديب وللألوهية وللأخلاق ، وهو يجدد دعوة
أبيقور بالاستمتاع على أية وسيلة كان الاستمتاع .

به يقول إذا كان استمتع في أن تسيل الدماء أنهارا ، وأن
تصشى على زعوس بنى البشر فلتفعل

وهو الذي يقول إن ما تعارف عليه الناس من أخلاق وفضائل
إنما هو ضعف في الطبيعة .

ومن سحرية العقادير أن هتلر طلق على اليهود نظريات بيتشه
فأقاموا الدنيا وقعدوها صرخا وولولة واستغثة ، وكان ما فعله هتلر
هو نوع من ثعرة دعايتهم لبيتشه ، فقد طلق عليهم نظريات من
رتبوا نجاحه .

إن اليهود رتبوا نجاح هؤلاء ، ورتبوا نجاح كل مفسد ، وشروا
كل موقفة ، ودعوا إلى كل انحراف ، وفعلوا ذلك عن تخطيط ،
هو إفساد الإنسانية لبسودو من وراء ذلك ، ويتمكوا ، ويسيطروا
على العالم

ووقف الأزهر في وجه كل ذلك ، وقف كالصرد الراسخ يدافع

عن الدائية الإسلامية ، وبحاول في صمود لا يبين أن ينفي عن الدائية الإسلامية الدحيل والعرو الفكرى ، وما لانت فثانه يومًا م
وكان لابد من انيل منه فى أسلوب متستر ، أو فى أسلوب
سافر - ودأب الذى استحابوا للاخفاف على النيل منه مرارًا وتكرارًا .
وهذا الدأب املح جعل بعض الطيبين يساقون - عن غير شعور -
إلى نقد الأزهر متسترين أو معدين ، وأصبحت مصيبة الأزهر بهم
هم الآخرون كبيرة .

ونسى أحب أن أقوله عن ملاحظة دقيقة هو أن كل شخص
يحاول النيل من الأزهر إنما فى قلبه دغل ، وفى نفسه شر سواء
أكان من المنحرفين بالفعل ، أو من « الطيبين السفيلين » الذين حذعهم
كثرة نقد المنحرفين فسلموا وراءهم .
والذى أحب أن أقوله أيضًا إن الأزهر فى محته الحالية لا يحد
من يأخذ بيده من هؤلاء المؤمنين النابيين .

وفى مصر والحمد لله - من المؤمنين النابيين الكثير ، ولكنهم
اصبروا فى إهمال غير شاعر ، أو فى نوع من السلوك اللاشعورى
عن الأحد بيد الأزهر والحدب عليه ، وهم بذلك آثمون

وأحب أن أعنيها سافرة وأفور . إذا تكاتف المبطلون على النيل
من الأزهر فى الإذاعة أو فى التليفزيون أو فى الصحف أو فى
ميرانته أو فى سيره فى نهضته ، فإنه يجب أن يتكاتف الخيرون
على أن يصبروه مجاهدين بذلك فى سبيل الله ، فإذا لم يفعلوا ذلك
فهم آثمون . آثمون فرادى ، وآثمون جماعات

ما هو الأهر ؟

إنه المحلل للإسلام ، القائم على نشره .

إنه رمز الإسلام ، هذا هين رمز الإسلام أو بين منه فيد على هؤلاء الذين يشعرون بالإسلام يملأ حواشهم أن يهوا مدافعين عنه ، وهم بذلك إنما يدافعون عن الإسلام وينصرونه

وهؤلاء الذين يملأ حب الوطن أثدبهم يجب عيهم أن يأحدوا بيد الأهر . لأنه هو الذي مكن مصر أن تحتل مركز الزعامة بين الدول الإسلامية .

ما أباء لأهر فيجب عليهم أن يمثلوا الأهر حير تمثيل سلوكا وعملا ، وكل من حاد من أباء الأهر عن الاستقامة : سلوكا وعملا ، فإنه في مقت الله وفي عصمه ، وإنه عد الله أكثر من إثم غيره

يجب على أباء الأهر طلابا وأساتذة أن يمثلوا حق الخلافة لرسول الله ﷺ ، وقد كان من شعاراته

﴿ربِّ زَنْنِي عَمَّا﴾^(١)

وكان منها :

« إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ »

تولى مشيخة لأهر وهو في أوج جهاده في ثلاثة ميادين .

١ - ميدان الجهاد في المجتمع حتى تسقيم الأمور

٢ - ميدان تربية المريدین .

(١) طه ١١٤

٣ المبدأ العسمى واثراء الفكر العربى والإسلامى

أما المبدأ الأول فقد كان أشق المبادئ ، وذلك أن الصراع بين الممالئ بعضهم وبعض كان مستمراً ، والصراع بينهم وبين الشعب أيضاً كان مستمراً

كانت شهرة حكم والسيطرة والسلطان فى نفس كل رعيم من رعماء الممالئ ، ومن هنا كانت المؤامرات والعدو والحروب مستمرة لانكاد تهدأ ، وكانت الإثنيات والصرايب تفرص على الشعب الذى يوء بحملها ، ومن أجل ذلك كان تدمره .

كيف يستقر الأمر ؟ وكيف يبدأ المجتمع ؟

لقد شغل ذلك كثيراً من وقت الشيخ وجهده ، ولم تكن الأمور ميسرة ولكنه لاند مما ليس منه بد ، وما يس منه بد هو حمل الرسالة التى نيطت به .

وهى السجهد للإصلاح فى جو اممالئ فيما بينهم ، وإلصلاص فيما بينهم وبين الشعب ،

وحمل الشيخ الرسالة فى قوة ، وأأحد من ذلك مثلاً وأحد بين الصورة اقوية لئى كان يتدخل الشيخ بها فيما بين الممالئ

لقد كان الصراع بين الممالئ على قدم وساق ، وانقسموا كما هى العادة إلى فريقين متعارضين مسلحين ، وهذا هى الحرب - إحدى الحروب - توشك أن تبدأ ، ويصور لجبرتى ذلك فى دقة ، ويقتطع من الجبرتى فى قطعة من حديثه منفصلة عن السابق ها واللاحق بها إذ أنها على هذا السبق كافية فى بيان المطلوب ، يقول الجبرتى .

... . ففعل الأمراء جمعية ، وعزموا على تشييل تجديده ،
وتكلموا وتشاوروا في ذلك ، فتكلم الشيخ الحفصاوى في ذلك المجلس
وأصحهم بالكلام ومانع في ذلك وقال « أخرجتم الأقاليم والبلاد ،
في أى شىء هذا الحال وكل ساعة حصام رراع وتحاريد ؟ على
بك هذا رجل أخوكم وخشداشكم . أى شىء يحصل إذا أتى وقعد
في بيته واصطلحتم مع بعضكم وأرحم أنفسكم والباس ؟ »
وحلف أنه لا يسافر أحد بتجريده مطلقاً ، وإن فعلوا ذلك لا يحصل
هم خير أبداً .

فقالوا : « إنه هو الذى يحرك لشر ويريد الافراد بسسه ومماليكه
وإن لم يذهب إليه أتى هو إليها وفعل مرده فيها » .
فقال لهم الشيخ « أنا أرسل إليه مكتبة فلا تتحركوا بشىء حتى
يأتى رد الجواب » .

فهم يسعهم إلا الامشان ، فكسب له لشيخ مكتوباً ووبحه بيه
وزجره وبصحه ووعظه وأرسلوه إليه .

فهم يلبث الشيخ بعد هذا المجلس إلا أياماً ومرض ورمى بالدم
وتوفى إلى رحمة الله تعالى ، فيقال إنهم أشغوه وسعوه لينتمكوا من
أعراضهم ، ا . هـ .

بعد أن مات الشيخ الحفصى قام الأمراء بما أرادوا ولكن كلمة
الشيخ الحفصى لهم : « وإن فعلوا ذلك لا يحصل لهم خير أبداً »
تحققت تحقفاً كاملاً وذلك أنهم لم يحصل لهم خير وهرموا
ونكسوا بهذا سبب مكانة الشيخ الذى لم يجرؤ أحد منهم على

مواحيته عناية مع ما فيهم من عطاسة وكبرياء ، ومع ملهم من سلطان وسيطرة .

وإذا كانوا قد أسروها في أنفسهم واتبعوا أسلوب الحياة والغدر بالنسبة للشيخ فإن الله سبحانه أراهم عاقبة مكرهم ولا يحقق المكر السيئ إلا بأهله .

وكان الشيخ إذ ذاك في الثمانين من عمره تقريباً
هذا نموذج مما كان يقوم به الشيخ من جهد في إصلاح أمر المجتمع وإعادة الوحدة له .

٢ وفي حدود صلاح المجتمع أيضاً من ناحية الشعبية أحد الشيخ في تربية المريدين ، لقد أخذ في تربية المريدين من قبل مشيخة الأهر ومن بعدها .

ولقد أخذ في تربية المريدين بعد أن أمره شيخه بدئاً وقد كان قبل هذا الأمر متمسكاً امتساعاً تاماً عن ذلك لا بد من إلابد من الأمر .
أما الوعظ العام وأما النصيحة فقد كان الشيخ قائماً بهم من قبل أن يكون مريداً ومن بعد أن كان مريداً ، ومن قبل أمر الشيخ له بأخذ العهد ومن بعد : وذلك أنهما لا يحتاجان إلى أمر فهما داخلان في نطاق الدعوة العامة التي أمر المسلمون بها :

﴿ دَعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْخَسِيفَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١)

ويقول الشيخ حسن شمس :

(١) التحف : ١٢٥

اعلم أنه حين تصدى لتسليمك وأخذ العهد أقبل عليه الناس
من كل فج عميق لأحد الطريق . وكان في بدء الأمر لا يأحدون
إلا باستحارة واستشارة وكتابة أسمائهم ونحو ذلك من آداب ، فكثر
الناس عليه وكثر الطلب فأحبر شيخه السيد الصديقي بذلك ، فقال
له لا تمنع أحداً يأخذ عنك ولو بصراً من غير شرط ، قال رضى
الله عنه . فمرت عقب ذلك لريرة سيدى أحمد البدوى ، فلقيني
خلق كثير لأحد العهود فرأيت فيهم صبرانياً وصعوه قان ، فتذكرت
قوى أستاذنا لا تمنع أحداً ولو بصراً ففقت لهم ، دعوه لعل الله
أن يهديه فكان كذلك ، قلت تقدم أنه أسسم على يديه خلق كثير
من أنصارى حيثئذ كثر الناس ولم يمنع أحداً أبداً حتى الآن .

ولقد عد الشيخ خمس شمه ما يقرب من ثلاثين علماً من كبار
العلماء ، أخذوا العهد عليه ، وهؤلاء العلماء كانوا هداية لمجتمع .
إرشاداً وسلوكاً

لقد كانوا دعة بعلمهم العزير وتآليفهم الفيسه ، وكانوا دعاة
بسلوكهم المستقيم ، وكانوا دعة بلوعةطة نحرخ من قس أسم
مقاليد الله سبحانه

ولقد رزح الشيخ خمس شمه لكل منهم بترجمة مناسبة ، وأرّح
للكتير منهم الحصري بكلمات نعن عن سماتهم وعن جهادهم في
سبيل الله .

وبكتفى بحى ها من بين هؤلاء بنقل ترجمتين من هذه التراجم ،
أولاهما ترجمة الشيخ الدردير رضى الله عنه ، والشيخ الدردير مكاتته

ومرلته في العلم والتصوف ، إنه مؤلف من حيار المؤلفين وهو قدوة
يأتى برسول الله ﷺ في سلوكه ، وله مكانته في الأجواء المصرية
على اختلاف درجاتها في الثقة ، وقد كان من كبار المحبين بشيخه ،
وقد كتبنا عنه كتاباً مستفيضاً .

يقول الشيخ حسن شمه عنه :

ومنها شيخ العروغ والأصول ، الجامع بين المعقول والمقول ،
الحائز لقب لسق في مصمار العلوم ، علامة الزمان ، والحامل في
وقته سواء العرفان ، حاتمة الخققين ، وتسان عين المدققين ، الشيخ
أحمد العدوي الملقب بدردير ، شغل رضى الله عنه بالنعم على مشايخ
كثيرين ، وأخذ عنهم في المعقول والمقول حتى برع وفاق معاصريه
وآذن به بالافتاء والتدريس فدرس وألف فأجاد ، ثم حبسته لعناية
إلى ندى الهداية ، فحج إلى الشيخ وطلب منه تلقين الذكر ، فبقه
وسر أحسن سير وسلوك أحسن سلوك ، ثم لس التاج وصار حليفه
مُجازاً بأخذ العهود والتلقين والتسليك ، مع المحاودة والعمل المرضي
الموافق للكتاب والسنة ، سمعت أستاذي يشي عليه فيقول ماله بطير ،
وحاله جميل ، وهو من الصدق في درجة عيب ، ومن الأدب والنواضع
في أعلى منها وسمعته يقول لأستاذي - كنت قس اليوم أقول وأنا
اليوم أكثر مرادى منكم لو أن تعرفوا واحداً يقال له أحمد الدردير في
الوجود أى فإن ذلك عايتة ، عره وشرفه ، صلى الله عنه وعما به .

أما الترجمة الثانية فيتحدث عنها الشيخ حسن شمه قائلاً

ومهم [من أحد عن الشيخ الحصى] علامة وقته وأوانه ، الأحد

من كميت الملاعة بعناه ، انون الصوفى ، من صفا قصوفى ،
 امدره البارع املسان ، شحقي الإنسان . الشيخ حسن الشينى ثم
 الموى ، رحل من بلدته فوه إلى الجامع الأزهر للاشتغال بالعلم ،
 ونحده عمن يؤخذ منهم ، فحين دخله حضر مجلس العالم العلامة
 الفقيه المدرس الشيخ أحمد الديري ، فجمعه محيا عليه فى الدرس ،
 فقيل له فى ذلك ، فقال : هذا عالم ما جاء من بلده حتى قرأ
 الأشمونى والمختصر ونحو ذلك ، أُحبرى ، نفعا الله به ، أنه كان
 ملازما لولى من أولياء الله تعالى فحين تعلقت نفسه بالجامع الأزهر ،
 توجه مع هذا الولى لزيارة ثمر دمياط فنام إلى جانبه ليلة فراه فى
 النوم وقد أسقاه من إريق لبأ أو ماء ، وقال له : هذا علم النحو
 وهو أصعب العلوم فى الأزهر ، قال لى ، ثم انتهت فقلت له
 يا مولانا الشيخ رأيت ما هو كذا فقال لى على الفور . أسكت ،
 أصغاث أحلام ، لأر الولى المذكور من الملامية لا يجب أن يظهر
 لنفسه حلا ، ثم أنه جاور عقب ذلك بالجامع الأزهر ، فحين
 اشتغل بهذا العلم فتح عليه فى أقرب مدة ، ثم اشتغل بأخذ علم
 الفقه وعلمه من حديث وتفسير وأصول ومطلق ومعاني وبيان وغيرها
 من سائر العلوم العقلية والنقلية ، حتى برع وفاق على أقرانه . وصار
 علامه زمانه ، وجدته أيدى العاية إلى حضرة أستاذى فأخذ عليه
 العهد ، ولقبه أسماء الطريق السبعة على حسب سلوكه فى سيره ،
 ثم ألسه التاج وأحاره بأخذ العهود والتلفين والتسليك وصار حلقة
 محضاً ، فأدار مجالس الأذكار ودعا الناس إليها فى سائر الأقطار ،

وفتح الله عليه باب التعرفان حتى صار يطق بأسرار القرآن ، ويتكلم في الحقائق فيعبي الصامت والناطق ، سمعت أن أستاذي قال ، وقد ورد عليه منه مكتوب . احمد الله الذي جعل في أتباعنا من هو كمحيي الدين بن العربي ، قلت وسمعت من رضى الله عنه وهو يقول في حقه الشيخ حسن لشيني هـ أكبرى أعطاه الله قوة في معرفة علم أهل التعرفان ، وإنه أعلم مني بهذا الفن ، وإن تكلمت معه فيه فإنما هي مشاركة ، ولا فائنا لا أنهم كفهمه وباهيت بهذه الشهادة !

ورأيت به تأليفاً على أسماء الله الحسنى شرحها بلسان الحقيقة من دوقياته فأبدع وأغرب وبرع وأعرب : ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾^(١) غير أنه لايس ثياب الحمور وسانك من باب الدين في الوصول كثر الله في الوجود من أمثاله وأفاض عليه وابل بفضل

٣ - أما الأمر الثالث الذي كان الشيخ معنياً به أثناء توليه مشيخة الأزهر فهو الجانب العسمى ، وقد كان معنياً بهذا الجانب فل توليه مشيخة الأزهر ، ولكنه حين تولي مشيخة الأزهر عني على لخصوص سة رسول الله ﷺ وبرع في ذلك براعة فائقة وأصبح في هد من كبار المحدثين رواية ودراية

لقد شرح في هذه المنزه كتاب « الجامع الصغير » للإمام السيوطي وكتاب الجامع الصغير هـ رتبة الإمام السيوطي على حروف المعجم . وذكر فيه الأحاديث مرتبة بحيث إذا عرف الإنسان أول

(١) الجمعة ، ٤ .

احديث يمكنه أن يكشف عليه في الكتاب المذكور ، فعرفه ، ويعرف
درجته أيضاً من الصحة والحسن والضعف ، وهو كتاب لا يستعنى
عه عالم من علماء الشرع محدثاً كان أو فقيهاً ، وفيه أكثر من
عشرة آلاف حديث .

وقد انتهى أبو الأنوار من شرحه قبل أن ينتقل إلى رحمة الله تعالى
بعامير تقريباً : إذ يقول أحد مریدی الشيخ في نهاية الكتاب . « وكان
المصراع من قراءة شيخنا العلامة محمد الحلي هذا ، للجامع في يوم السبت
سبارك السابع من شهر ربيع الأول من شهر سنة تسع وسبعين ومائة
بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام »

وهذا الشرح أو هذه الحاشية . على احتصارها - تبين أن الشيخ
برع في كل العلوم الإسلامية . من حديث وفقه وغيرها ، وفي
العلوم العربية من نحو وصرف ولغة

والذي يعنينا هنا على الخصوص هو : احصى محدثاً .

ومن أجل ذلك نركز على ماورد في شرحه للجامع الصغير ،
ونكتفي بمدح وإلا فإن الكتاب بأجمعه جدير بالتأمل المتبصر ،
ونبدأ بتعريفه للغة ، إنه يقول :

١ - تصبق السنة على ما أخذ من الأحاديث صريحاً من الأحكام
التي لا يمكن أخذها من الكتاب إلا بمزيد مشقة اجتهد واستباط
ومن ذلك فوهم : دل على هذا الحكم الكتاب واسعة .

٢ - ويطبق السنة على ما ثبت كونه مظلوماً مقالاً نعرض سواء
ثبت بالكتاب أو السنة أو الإجماع

٣ - وتطلق على ما واطب عليه ﷺ .

فلها ثلاث اصطلاحات .

٤ - لكن في الفقه تطبق على ما فعله ﷺ سواء واطب عليه أم لا ؛ فالأول المؤكد ، والثاني المستحب ، فيكون اصطلاحاً رابعاً^(١)

أما عن كتب السنة المتدولة فإنه يقول عن بعضها :

الجامع الصحيح للبخاري ألفه في مكة ، وكان لا يضع فيه حديثاً إلا إذا اغتسل من ماء زمزم ، وتطيب ، وصلى ، ركعتين .
وأحد من ستمائة ألف حديث .

ومسلم : أحذه من ثلاثمائة ألف حديث .

وقد ألان الله تعالى الحديث لأبي داود كما ألان الحديده لسيدنا داود وكتابه من الكتب الأربع .

وفيها الصحيح والحسن والضعيف بخلاف البخاري ومسلم ليس فيهما الضعيف بل : الصحيح والحسن .

أما عن مسند الإمام أحمد فإنه يقول :

أى الأحاديث المسندة ، وفيه نحو ثلاثين ألف حديث ، وقيل أربعين ألفاً ، وليس فيه موضوع إلا أربعة ، منها حديث دحون عبد الرحمن بن عوف الجبة ، زحفاً كما ذكر بساوى ، وإن وجد في كتب الأفاضل ؟

(١) حاشية الخصى على الجامع الصغير ج١ ص ٢٢٠

وعن « الحية » لأبي نعيم وهو ليس كتاب حديث ، ولكن به
أحاديث كثيرة ، يقول :

« نعيم » بضم الميم ، ولشدة تعلق الناس بالحية لما ألف : بيع
بأربعمائه دينار .

ولا يأخذ الشيخ إحصى أحاديث الجامع الصغير على أنها مسلمة
صحيحة أو حسنة وإنما يربطها بمورين المحدثين ومن ذلك الحديث
السايل :

إن الله تعالى إذا أراد بالعباد نقمة أمات الأطفال وعقم النساء
فتنزل بهم النقمة وليس فبهم مرحوم : الشيرازي في الألقاب عن
حذيفة وعمار بن ياسر معاً

(قوله نقمة) أي انتقاماً . وهذا الحديث موضوع كما نقده الحافظ بن
حجر ويدل لوضعه ما ورد في ابجاري : « نهلت وفيما الصالحون
يا رسول الله ؟ فقال : نعم ، إذا كثر البعث » فهو يدل على حصول
الانتقام ولو مع وجود أهل الرحمة من الصالحاء والأطفال ، فيعارض
معنى هذا الحديث ، ولا يحتاج إلى تأويل حديث البحاري إلا لو صح
هذا ، وما ورد لولا شيوع ركع . إيج لا يافيه لأن حصول
الرحمة بسبب هؤلاء لا ينافي أنه قد ينزل بنا وبهم الانتقام في بعض
الأحيان ، وقوله وعقم النساء تشديد العقاب يقال عقم كمرح وبصر
وكرم ، وعنى وعقمها الله وأعقمها ورحم معقومة أي مسدودة
لا تلد . هـ يحط بعض الفضلاء والمؤلفون بفتحون كتبهم بحديث :
« إنما الأعمال بالنيات » .

وكان النادئ بذلك هو الإمام البخارى حينما بدأ رحمه الله تعالى
صحيفة بهذا الحديث الشريف

وقد ذكر الإمام السيوطى هذا الحديث فى ختام مقدمته وتحدث
الإمام الحفنى عن هذا الحديث من جهة السند ومن جهة المعنى فقال
عن السند : قوله « عن أبى سعيد » الحديث ، وقوله ابن عساكر
بالرفع ، أى ورواه ابن عساكر عن أنس بن مالك ، وكذا الرشيد ،
أى روه الرشيد عن أبى هريرة ، فهو مروي عن أربعة من الصحابة .
عمر بن الخطاب ، وأبى سعيد ، وأنس ، وأبى هريرة ، لكن لم يصح
غير طريق عمر رضى الله تعالى عنه ، فذكر المصنف للثلاثة الآخر
يوهم أنها صحيحة أيضاً مع أنه تكلم فى أسانيدھا بالصعف ، إلا أن
يقال : ذكرهم : لاتفاق الأربعة على لفظ الحديث ، أى فهذه الطريق
والكانت صعبة لم تخالف الطريقة الصحيحة ، ولا يقال إن هذا
الحديث روه يصف وثلاثون صحابياً فلم اقتصر على الأربعة ؟ لأنهم
إنما رووا حديث النبوة ولم يذكروا هذا اللفظ بتمامه كالأربعة فهذا
اقتصر عليهم ؟ » (١) . ا . هـ .

أما من جهة المعنى فإنه يقول .

« وقوله : « إنما الأعمار » . الح » حتم خطبته بهذا الحديث اقتداء
بأسلاف والمخلص الأربعة فإنهم ذكروا فى خطبهم عن المسر فقدمت
بهم لمؤلفون ، وجعلوه آخراً من الخطبة وإشارة إلى أنه يتبغى لشارع
فى تأليف أن يحمر نيته فيه .

(١) اخصى عن الجامع الصغير ج ٦

« قوله ناسيات » أى لا أعمال إلا بسية ، أى لا صحة ، و لا فصية و كمال . إذ صورة العمل توجد بدون بية ، والمراد الأعمال المتصفة بالعبادة ، فحرج نية الكافر فلا يصح بد عمله لا يتصف بالعبادة ، والمراد غالباً ، فلا يرد نحو الصدقة ، والوقف ، وعمل الميت ، وإزالة المجاسة ، وترك الرد ، فإن ذلك يصح بدون بية ، لكن لا يحصل الثواب إلا بد بوى ذلك فلا يحصل له ثواب إزاله اسحاسة إلا إذ قصد امتثال الشارع فى الواجبة والمندوبة ، وقس الباقى (١) .

ويقول :

قوله : (فمن كانت هجرته) هذا بيان للنسب فى الحديث وتوضح ما يترتب على الحمتين السبقتين ورجز للمهاجر بهذا المقصد ، فإنه لا يسعى التمس بالطاعة ظاهراً وفى الباطن قصد غيرها فإدم إنما حاءه من جهة أنه فى الظاهر مهاجر لله ورسوله وفى الباطن قاصد غير ذلك فلا يقال بد تحصيل الدنيا مباح لا يدم عليه بل يكون عبادة إن قصد بتحصيل لكاح الإعفاف مثلاً أو قصد بتحصيل إمار كفاية عياله وأصل الصخرة الانتقال من وصى إلى مكان آخر ، وإيراد هـ المكان المعوى لا الحسى أى من كان انتقاه من شهوات نفسه إلى طاعة الله تعالى . الخ .

« قوله لِدُنْيَا » فى رواية إلى دنيا ويجوز كسر الدال ، وهى جمع المحبوبات وذلك أظهر من انقول بأنها الأرض وما عليها

(١) الحصى على الجامع الصغير ص ٦

والجو والهواء لخروج السماء وأهلها ، وتطبق الدنيا على الذهب
والفضة ، وعلى ما يمتنع به ويتيسر به من ذهب أو فضة أو امرأة
أو ملبوس ، وهذا الأخير هو المراد هنا^(١) .

ويصحح الشيخ الحنفى بعض الأحاديث التى تدور على الستة
بعض العامة بزيادة لفظ يفسد معناها وذلك مثل .

« حُبَّ إِلَى مِنْ دِيَاكُمْ النَّسَاءُ وَلَطِيبُ رَجَعْتُ قَرَّةَ عَيْسَى فِي
الصَّلَاةِ » رواه أحمد وغيره عن أس .

فإن العامة تقول : « حب إلى من دياكم ثلاث »

(قوله حُبَّ) م يقل أحببت إشارة إلى أن حبته ﷺ مجبولة على
حب أمور الآخرة دون أمور الدنيا ، ولكن الله تعالى حبه هذين الشيئين
من أمور الدنيا لكثرة ما يترتب عليهما من الخير ، فإن النساء يترتب
على حبهن كثرة الناس ، وأيضاً هناك أمور يستحيا من ذكرها فلم
يبدعنا تشريعها إلا من زوجاته ﷺ ، فلولا محبة النساء وتزوجه بهن
لما بلغنا ذلك ، والطيب وإن كان فيه تعم في الدنيا إلا أنه قوت أرواح
الملائكة ، وأيضاً طيب النساء يترتب عليه جماعهن المترتب عليه كثرة
النسل ، وما اشتهر من زيادة لفظ ثلاث هكذا حب إلى من دياكم
ثلاث لا أصل به : إذ لفظ ثلاث يعبر المعنى لأنه إنما ذكر اثنين وفصل
الأحير بقوله رجعت قرة الح ، والصلاة وإن كانت تقع في الدنيا
إلا أنه ﷺ محمول على حبها لا أنها حست إليه ، وفي قوله دياكم
دون دياى أو دنياى إشارة إلى أنه ﷺ إنما يضاف إليه أمور الآخرة

(١) الحنفى عن الجامع الصغير ص ٦

ويحل الشيخ رضى الله عنه الكثير من المسائل التى تشير جدلا كثيرا بالفاظ بسيرة ووضوح فى الحل وذلك مثل « يمين الرحمن » فى الحديث التالى :

« إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكُلُّمَا يَدُهُ يَمِينٌ . الَّذِينَ يَقْدُلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَبَا » الإمام أحمد وغيره : عن ابن عمرو .

(قوله مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ) من المنابر وهو الارتفاع فسميت بذلك لارتفاعها وهذا حقيقة ، ويحتمل أنه كناية عن ارتفاع مراتبهم عنده تعالى كمن هو مرتفع فوق منبر .

(قوله عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ) مذهب السلف أن ذلك عبارة عن صفة تسمى يمين الرحمن لا تعلم حقيقتها ، ومذهب الحلف يؤولون ذلك بأن المراد شدة قربهم منه تعالى قربا معنويا ولما كان يتوهم من إثبات اليمين إثبات اليسار دفع ذلك بقوله وكُلُّمَا يَدُهُ يَمِينٌ والثنية ليست على حقيقتها بل المراد التكثير على حد لبيك ، أى جميع صفاته يمين أى جميل ، وذلك أن تحرى الاستعارة التمثيلية : حيث شبه حال هؤلاء بحال خدام ملك يدنوا الجهد فى خدمته فقدم هم كراسى وأجلسهم عليها غاية الإكرام .

(قوله وَمَا وَبَا) بضم الواو وتشديد اللام أو بفتح الواو وتخفيف اللام وعلى كل عطفه على حكمهم من عطف العام أى عدو فى حكم القصء وفيما ونوا عليه ولو غير حكم القصء كقصر على وقف .

ويتحدث شيخنا عن بعض زوايا الإصلاح في المجتمع . فمن ذلك شرحه للأحاديث الشريفة التالية :

« إِنَّا لَنَسْتَعْمَلَ عَلَى عَمَسَا مَنُ أَرَادَهُ » الإمام أحمد وغيره عن أبي موسى (قوله إِنَّا لَنُ) وفي رواية لا نستعمل ، وسبب الحديث أن أبا موسى الأشعري دخل مع ابني عمه عليهما السلام فقال أحدهما . يا رسول الله إن البلاد كلها لك فأمرنا على بعض البلدان ، وقال الآخر مثله ، فذكر الحديث : أي لأن من أراد الإمارة وطبها كان فيه رية ، فمن أراد شيئاً وكل لنفسه ، ومن أريد منه شيء أعانته الله عليه ، وفرق ما بينهما فمن طلب القضاء ونحوه من سلطان لم يجبه إلا إذا تعين للقضاء ، أو كان مستحقاً في بيت المال ولم يصل إلى حقه إلا بالتولية ، أو كان حاملاً ولا يمكنه بشر علومه إلا بهذه التولية فيجاب في هذه الأحوال لثلاثة ، وما عداها يرد فيحمل هذا الحديث على أن ابني عم أبي موسى الأشعري ليس فيهما أحد الحاصل الثلاث .

« تَدَاوُّوا عِبَادَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَصْعُدْ دَاءٌ إِلَّا وَصَحَّ لَهُ دَوَاءٌ » غير داءٍ واحدٍ ألهم . (الإمام أحمد وغيره) عن أسامة بن شريك . (قوله تداووا إلح) فلا ينبغي إهمال التداوي للتوكل ولذا مرص سبينا موسى فقالت له بنو إسرائيل تداو بكذا فقال لا أتداوى بقولكم بل بالوحي وإنما أنتظر الشفاء من الله تعالى فلم يحصل له الشفاء ، فنزل الوحي عليه أتريد أن تبطل حكمتي التي وضعتها في العقاقير فمن خفق العقاقير عيرى ، فدا أدي خلقتها وأحس الشفاء عند تعاطيها ، ولا يرد على ذلك قول الصديق رضى الله تعالى عنه حين

قالوا له أنأتى لك بطبيب ؟ فقال . إنه نظر لى . فقالوا له ماذا قال ، فقال : قال لى : أنا الفعال لما أريد ، أى لأنه علم بتور قبه أنه قرب أجله فلم ينفعه الدواء . وكذا أهل الله تعالى منهم من يطلعه الله تعالى على عدم نفعه بالدواء فيتركه ، أما من لم يبلغ هذا المقام فلا يترك التداوى نظراً للتوكل .

« تَعْلَمُوا الْعِلْمَ وَتُعْلَمُوا بِلَيْعِمِ السَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ وَتَوَضَّعُوا لِمَنْ تَعْلَمُونَ مِنْهُ » الطبرانى فى الأوسط وغيره : عن أبى هريرة .

(قوله تَعْلَمُوا الْعِلْمَ) أى خدوا فى أسباب المعرفة للعلوم الدفعة من العلوم الشرعية والآنها ، وقوله الوقار أى المهابة فلا يفعل ما يحل بالمروءة فصلاً عن العدالة ، فالعالم الذى يوحد العلم من كلامه وشربه ومبسه ودينه ، ومعنى أخذ العلم من الدابة أن لا يحميها ما لا تطيق ، وأن لا يجيعها وهكده ، وفى على ذلك .

(قوله لِمَنْ تَعْلَمُونَ مِنْهُ) ولذا كان إمامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه لا يقلب الورق بحضرة سيدنا مالك خوفاً من سماعه فرفعه أدباً معه ، وكان يفتخر بمشيخة سيدنا مالك وهو يفتخر بتلميذته . وكان الريح الجيزى لا يشرب الماء محصرة إمامنا خوفاً من سماعه صوته دياً معه ، وكان بعض العلماء لا يسأله تلامذته إلا بعد قوطم له . أتأد لنا فى السؤال عن كذا ؟ وقد أخذ ابن عباس رضى الله عنهما بركاب سيدنا زيد لكونه شمهه .

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : « أَنَا عَبْدٌ ظُلُّ عَبْدِي بِي إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ » . (الطبرانى فى الأوسط وغيره) : عن وائلة .

(قوله عند ظنّ عبيد إلخ) يحتمل أن المراد بالظن حقيقة أى
الطرف الرجح ، أى إذا ترجح عنده أنى أعمر له إذا استغفر ،
وأثوب عليه إذا تاب ، وأرزقه إذا طلب الرزق ، وأعافيه إذا طلب
الصحة إلخ

وإذا ترجح عنده أنى لا أعفر له إلخ كان كذلك وهو معنى إل
خيرًا فخير وإن شرًا فشر .

ويحتمل أن المراد بالظن العم واليقين ، ويكون إشارة إلى التوحيد
الخالص ، أى إذا علم عبيد وتيقن أنى منتصف بالغمران والإعطاء
إلخ أعصيته ذلك بخلاف ما إذا كان عنده ريبة فى اتصافى بذلك
فلا يزال مى ما عليه ، وفى هذا لحديث إشارة إلى طلب الرجاء ،
ولذا قال بعض الأمراء لبعض العلماء ما تقول فى مالنا وفى إنفاقنا
به فى الخير ، فسكت الشيخ متأملًا فى جواب مناسب ثم أجاب
بقوله . أصبح الأمير عالمًا بأن من اكتسب مالاً من حلال وأنفقه
فى الخير كان موفقًا سعيدًا .

فقال الأمير أنا أحسن ظناً بالله منكم فأنتم تعصم أنى اكتسب
من الشبه ، وإنما سترت العبارة عني . فقال الشيخ أسألت بالله
أتعصم أن رسول الله ﷺ أحسن ظناً بالله من جميع خلقه قال نعم
فقال هل كان يكتسب من الشبهات فقال لا

فقال يسئ لك أن تكون عني ما كان عليه رسول الله ﷺ ،
فهذا من الشيخ لعطف وهو شأن من اجتمع بالأمراء فيسئى له الملاحظة
معه .

وموقف شيخنا من الصحابة هو موقف أهل السنة على وجه
العموم ولقد شرحه بمناسبة الأحاديث التالية :

« أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كَهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ
إِلَّا لَيْسَيْنِ وَالْمُرْسَنَيْنِ » (الإمام أحمد وغيره) عن علي عن أبي جحيفة .

« أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ السَّمْعِ وَالنَّصْرِ مِنَ الرَّأْسِ » (ع)
عن أبي طالب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه عن حده قال ابن عبد البر
وماله غيره (حل) عن ابن عباس (خط) عن جابر .

« أَبُو بَكْرٍ خَيْرُ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُ » (طب عد) عن سلمة بن
الأكوع .

« أَبُو بَكْرٍ صَاحِبِي وَمُونِسِي فِي الْعَارِ سَدُّوا كُلَّ حُوحَةٍ فِي الْمَسْجِدِ
غَيْرِ حُوحَةِ أَبِي بَكْرٍ » (عم) عن ابن عباس
« أَبُو بَكْرٍ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ » (أبو بكر أحى في الدنيا والآخرة)
(فر) عن عائشة

« أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ
وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ ،
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ ،
وَسَعْدُ بْنُ رِيْدٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ » ،
(الإمام أحمد وغيره) عن سعد بن ريد ، (الترمذي) عن عبد الرحمن
بن عوف ص ١٧ ويشرح الشيخ ذلك فيقول قوله (كهول) . الأحسن
أن المراد بالكهول الشجعان الكرماء لا حبيبتهم باعتبار وقت الموت
كما قال الشارح لأن ذلك يُبلع في المدح (قوله بمنزلة السمع النخ)

أى أنتفع بهما كنعى بالسمع إلخ ، أو أحبهما كما أحب سمعى
الح . ولا يقال به ﷺ ينتفع جميع الناس به ولا ينفع أن يقال
ينتفع هو بالناس ، لأننا نقول هذا قاله ﷺ بياناً لفصلهما ، ولم
تقله الأمة حتى يعترض بذلك (قوله نضب) بصيغة نفاضل . عزيزى
وهوله . أبو بكر كان اسمه عبد الكعبة ، فسماه ﷺ عبد الله ،
وهو له صحبة ، وكذا لأبويه وولده وولد ولده صحبة ولم يجتمع
هذا لأحد من الصحابة ، وروى مائة وأثنى وأربعين حديثاً ، له
فى الصحيحين ثمانية عشرة ، انفرد البخارى بأحد عشر ، ومسلم
بواحد (قوله : إلا أن يكون) أى وجد نبي وهى تامة (قوله
غير حوثة) بالنصب صفة بكل وفيه إشارة إلى أن أبو بكر يكون
حقيقه بعده ﷺ فيحتاج للمسجد (قوله أبو بكر فى الجنة إلخ) لم
يجمع من المبشرين بالجنة فى عدة إلا العشرة المذكورين فلا ينافى
أنه بشر غيرهم كالحسين وأمهما وجدتهما حديحة رضى الله تعالى
عنه . ومعنى الإشارة بذلك عدم دخولهم النار ، فلا ينافى أنه
يمكن هم حصون مشقة الحساب والموقف ، فلذا كانوا على شدة
خوف ، على أنه يمكن أن خوفهم بظلمهم أن هذه الإشارة معلقة
على وجود أمر مهم وم يوجد ، وإنما ذكر لفظ فى الجنة بعد
كل مع أنه يكفى ذكرها أحراً فيقول أبو بكر وعمر إلخ فى الجنة
لأن المقام مقام إطباق لأنه يرد على الراعمين أن بعضهم من أهل
النار ، ووقاص بالتشديد

وعن سيدنا على يشرح الحديث التالى .

« على غيبة علمى » (عبد) عن ابن عباس

(قوله عيبة علمي) أى وعاء علمي الحافظ له فإنه مدينة العلم ،
 ولذا كانت الصحابة تحتاج إليه في فك المشكلات ، ولذا كان يسأله
 سيدنا معاوية في رمن الواقعة عن المشكلات فيجيبه ، فنقول له
 جماعته : مالك تجيب عدونا ، فيقول : أم يكفيكم أنه يحتاج إلينا ،
 ووقع له فك مشكلات مع سيدنا عمر ، فقال : ما أبقاني الله إلى
 أن أدرك قوماً ليس فيهم أبو الحسن ، أو كما قال فقد طلب أن
 لا يعيش بعده ، وقد حصل ، وجاء رجل لسيدنا عمر وهو يظوف
 وقال له :

حد لي حقي من عليّ فقد لطمني بطمه ، فلما سأله سيدنا عمر
 عن لطمه ، قال : نعم لطمته لكونه يتطلع إلى النساء ، فقال لقد
 أحسنت يا أبا الحسن .

وقد أمر سيدنا عمر برجم زانية فمر عليها سيدنا عليّ في أثناء
 الرجم فخلصها ، فيما أخبر سيدنا عمر بذلك قال إنه لا يفعل ذلك
 إلا عن شيء ، فيما سأله قال : إنها مبتلاة ببني فلان ، أى مصابة
 بالجنون ، فلعل وقت رباها كانت مجنونة ، أى والشبهة تسقط حد ،
 وقد قال عليه السلام :

« رَفَعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ ، عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَتَلُغَ وَعَنِ السَّائِمِ حَتَّى
 يَسْنِيقَهُ وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَبْرَأَ » فقد سيدنا عمر . بولا على هلك
 عمر .

وعن الصحابة على وجه العموم يشرح الحديث التالي :

« إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي خَيْرًا أَلْقَى حَبًّا أَصْحَابِي فِي قَلْبِهِ » (١) .

(قوله حب أصحابي في قلبه) أى جميع أصحابي لا فرق بين من عاشه عليه السلام ، وبين غيره ، لأنه إذا اجتمع شخص به عليه السلام لحظة حصل له نور في قلبه بسببه يتصف بالعدالة ، وإن حصل منه هفوة نائب لوقته .

وقول الماوردي : إن الحث على المحبة العظيمة إنما هي فيمن عاشه عليه السلام ، أما من جتمع به لحظة فقط فهو وإن طلست محبته لكنها لم يثبت عليها لعدم اتصافه بالعدالة بمحرد اجتماع اللحظة مردود (٢) .

« إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ ثُمَّ بَعَثُوا عَلَى أَعْيُنِهِمْ » (٣) .

« قوله من كان فيهم » أى من استحق منهم من فعل المعصية أو رضى بها أو لم يرض لكن قدر على إزالتها ، ولم يفعل ، وظاهر هذا الحديث أن البلاء لا يزل على الطائعين منهم وهو يحالف قوله ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾

ويجمع بأن الحديث محمول على ما إذا تم تنص المعاصي وتعم . والآية محمولة على ما لو فشلت ، فإن البلاء حيثئذ يعم الطائعين

(١) السائي عن أنس رضى الله عنه

(٢) الحاشية ص ٦٠

(٣) البخاري . ومسلم عن ابن عمر

وغيرهم لكنه بقعة لعاصي ، أو تطهير لهم ، وثوب للطائعين ، يدل على هذا الجمع حديث :

« أَتَهْنِكُمْ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَالَ : نَعَمْ إِنْ كَثَرَ الْحَيْثُ »

أى إن فشت المعاصي وكثرت فيهلك الجميع من صالح وغيره .
قوله « على أعمامهم » أى لعقاب عليها فعذاب الدنيا لكونه قعة لا يدفع عذاب الآخرة ، أى لم يعف عنهم^(١)

عن ابن عمر « اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تَحْصُوا وَعَلِمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةَ . وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ » الإمام أحمد وغيره
عن ثوبان وعن ابن عمر وعن سمرة بن الأكوع .

(قوله واعلموا إلخ) أشار إلى أن من لم يقدر على أنواع الاستقامة فليحرص على أقوى أسباب الاستقامة وهو الصلاة والوضوء ، وأطلق الوضوء ليشمل «طهارة الجسمية ولعنوية .

قال العنقى حاتمة فان «سهيى رأيت لى ﷺ فى المنام فقلت له روى عنك يا رسول الله أنك قلت شيئى هوذ فما الذى شيئى منها ؟ شيئى منها قصص الأنبياء وحالات الأمم ؟

فقال لا ، ولكن إنما شيئى قوله تعالى ﴿فَسْتَقِمُّوا كَمَا أُمِرْتُمْ﴾^(٢)

إذ قوله « كما أمرت » يدل على أن الاستقامة تكون بحسب المعرفة ، فمن كملت معرفته بره عظم عبده أمره وبهيه فإذا سمع كما أمرت

(١) الحاشية ص ٦١ .

(٢) هود ١٦٢

علم أنه طوبى باستقامة تليق بمعرفته بكمال الأمر ، وحقيق لمن
 بهم ذلك أن يشيب إذ لا يطيق أحد أن يأتي بعبادة على حسب
 ما يعرف من عظمة ربه ، بل لابد أن يستصغر جميع ما يأتي به
 وإن كان كاملاً بالإضافة إلى عطفته ولذلك لما نزل ﴿اتقوا الله
 حق تقاته﴾^(١) قلقت الصحابة خوفاً من كونهم لا يقدرُونَ على
 القيام بمعنى ذلك فأمر الله رحمة لهم : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٢)

انتهى بحروقه بخط الشيخ عبد البر الأجهوري .
 « إن فيك لخصلتين يحكما الله تعالى : الحِلْمُ والأَمَانَةُ » (الإمام
 مسلم والإمام الترمذى) عن ابن عباس ، (قوله إن فيك) حضاب
 بالأشخ : لأنه ﷺ كان جالساً مع عمر وبعض الصحابة ، فقال ﷺ :
 سيقدم عليكم ركب من حير حتى الله تعالى ، فقام سيدنا عمر وبادر
 إلى لقائهم ، فقال لهم : من أنتم ؟ فأخبروه ، فقال قد أتى عبيكم
 رسول الله ﷺ وسم وذكركم بخير ، فلما قدموا يادروا إلى مقابلته
 ﷺ بثياب السمر إلا الأشخ ، فتأني إلى أن لبس أحسن الثياب ،
 وتنظف لأن شأن السحور على الملوك أن يكون على حسن الأحوال ،
 فلما قدم ﷺ وجلس يتحدث فأمر المصطفى النظر لوجهه بكونه
 غير جميل ، فهم ، فقال له : يا رسول الله إنما يرد من الرجل الأوفران
 عقله ولسانه ، وأما الجمال فهو للنساء ، فقال له ﷺ أريد مبايعتك
 وقومك على الإسلام ونصر الحق ، فقال له أعلم أن اعتناك بالدين ،
 أنا أنا ومن معي فتبايعت على ذلك ، وأما قومي فنعمهم بذلك فإن

(١) آل عمران - ١٠٢

(٢) التباين : ١٦

أجابوا فذاك وإلا قاتلهم ، فقال له ﷺ : صدقت ، فعلم وفرة عقده من كلامه ، والأداة من تأنيه في القدوم عليه ﷺ فذكر له الحديث ، فقال : هاتان الصفتان خلقت بهما أم اكتسبتهما يا رسول الله ؟ فقال : بل خلقت بهما . فقال الحمد لله الذي جعل في صفتين يحبهما هو ورسوله .

(قوة الحزم) أى العقل ويشأ عنه العجز وغيره من الحصول الحميدة
 « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ نِدْمَغُ الْعَيْنَ وَيَخْشَعُ الْقَلْبُ وَلَا يَقُولُ مَا يُسَخِّطُ
 الرَّبَّ وَاللَّهُ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمْخْرُوبُونَ » (ابن سعد عن محمود بن
 لبيد) .

(قوله وَيَخْشَعُ الْقَلْبُ) أى يخضع ويدل إظهاراً لصفة الشفقة والرأفة ، والحاصل أن أهل الله تعالى قسمان : قسم تظهر عليه صفة العبودية ، فيرضى بالقضاء ، ويظهر البشر عند المصيبة ، وقسم تظهر عليه صفة الشفقة والرحمة ، فتدمع عنه ، ويخضع قلبه حينئذ ، ولذا روى بعضهم يصحك عند المصيبة ، فقل له . لم ؟ فقال : خفت أن تغلب على صفة الرحمة فأظهرت صفة العبودية ، ولما كان ﷺ فيه الصفتان ، وهو آمن من عيبة إحداهما على الأخرى ، أظهر كلاهما ، فأشار إلى إظهار صفة العبودية بقوله ولا نقول ما يسخط الرب ، وأظهر الثانية بدمع العين .

« حُسْنُ تَمَلُّكِكَ يُغْنِي ، وَسُوءُ الْخُلُقِ شَوْمٌ ، وَطَاعَةُ الْمَرْأَةِ نَدَامَةٌ
 وَالصَّدَقَةُ تَذْفَعُ أَنْقَصَاءَ السُّوءِ » (ابن عساكر عن جابر) .

(قوله ندامة) أى لنقص عقولهم ودينهم فلا ينبغي لشخص أن يفعل ما أشارت به عليه امرأة حيث لم يعلم أنه خير

(قوله تدفع القصاص) أى تمنع البلاء ولذا احتطب شخص ففك خطبه فإذا فيه أفعى ، فقبل له : ماذا صنعت حتى نجاك الله منها ؟
يقال : تصدقت بكسرة ، والمراد بمنع البلاء بأن ترفعه إن كان معلقاً ، وتحففه إن كان مبرماً ، وحكى أن بعض السلاطين أمر بشخص ليقتله ، فجاء به وقد تصدق فى طريقه بنصف رغيف ، وقال : إنه عليه السلام قال : اتقوا النار ولو بشق تمره . ونار السلطان أحف من نار جهنم ، فهذا يرفعها بالأولى ، فلما قدم عليه والناس مجتمعون أمره بالانصراف ، فسأله بعض أعوان السلطان ماذا صنع نجا ، فأخبره بما وقع ، وقال : إن نصف الرغيف أكبر من نصف التمرة ، ونار السلطان أحف من نار جهنم . وهكذا شأن المخلصين

« إذا قضى أحدكم لصلاة لم مسجده فليجعل لبيته نصيباً من صلاته فإن الله تعالى جاعلٌ فى بيته من صلاته خيراً »

رواه الإمام أحمد والإمام مسلم وغيرهما (حم م هـ) عن جابر وعن أنس .

(قوله فليجعل لبيته الح) أى فالأفضل صلاة الفل فى البيت إلا ما استثنى ، قال العلقمى : فيجعل العرض فى المسجد والنافذة فى البيت : لحديث « أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة » وإنما حث على النافذة فى البيت لكونه أحفى وأبعد عن الرياء وأصون من المعبطات ، وتبرك أهل البيت بذلك ، وترك فيه الرحمة والملائكة ،

وتنفر الشياطين ، قبت إلا ما استثنى من الوفل كسنة الجمعة القبلية ،
وركعتي الإحرم والطواف ، وصلاة الصبح ، والاستحارة ، وصلاة
مشي أسفر ، ولقادم مه ، والمكث في المسجد لتعم أو تعليم ،
أو اعتكاف ، والخائف قوته الرتبة ١ . هـ

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَحَاوَرَ لِأَمْتِي غَمًّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تُكَلِّمْ
بِهِ أَوْ تَعْمَلْ بِهِ » (ق ٤) عن أبي هريرة (طب) عن عمران بن
حصين

(قوله أنفسها) بالرفع وهو طاهر وينصب على التجريد بأن مجرد
شخصاً من نفسه ويحدثها ، والحاصل أن المراتب خمسة : هاجس ،
وحاطر ، وحديث نفس ، وهم ، وعزم ، فالشيء إذا وقع في القلب
ابتداء ولم يجد في النفس سمي هاجساً ، فإذا كان موافقاً ودفعه من
أول الأمر محتج إلى المراتب التي بعده ، فإذا حال أي تردد في نفسه
بعد وقوعه ابتداءً ولم يتحدث بهل ولا عدمه سمي خاطراً . فإذا
حدثته نفسه بأن يفعل أو لا يفعل على حد سواء من غير ترجيح
لأحدهما على الآخر سمي حديث نفس ، فهذه الثلاثة لأعقاب عليها
إن كانت في الشر ولا ثواب عليها إن كانت في الخير ، فإذا فعل
ذلك عوقب أو أثيب على الفعل ، لا على المحس والحاطر وحديث
النفس ، فإذا حدثته نفسه بالفعل وعدمه مع ترجيح الفعل لكن ليس
ترجيحاً قوياً بل هو مرجوح كالوهم سمي هماً ، فهذا يثبت عليه إن
كان في الخير ولأعقاب عليه إن كان في الشر ، فإذا قوى ترجح
الفعل حتى صار - جارماً مصمماً بحيث لا يقدر على الترك سمي عزمًا
فهذا يثبت عليه إن كان في الخير ولأعقاب عليه إن كان في الشر

« إذا شهدت إحداكم العشاء فلا تمس طيباً » رواه الإمام أحمد والإمام مسلم وغيرهما عن زينب الشقمية .

(قوله فلا تمس طيباً) أى لأن ذلك يورث الفتنة . لأن الطيب يهيج الشهوة .

ومثل العشاء وغيرها .

وكذلك الخروج ولو لغبر صلاة .

وإنما قيد بالعشاء لأن تطيب النساء لا يكون إلا ليلاً

وقوله إذا شهدت أى أرادت حضورها مع الجماعة وعارة العنق منى قال لىوى معناه إذا أرادت شهودها ، أما من شهدتها ثم عادت إلى بيتها فلا تمس من التطيب بعد ذلك .

« إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبّه » رواه الإمام أحمد وغيره عن المقداد بن معد يكرب وعن أنس .

(قوله أخاه) أى فى إسلام فليعلمه ندباً مؤكداً ، بأن يقول : له إبنى أحبك . وينبغى الجواب بأن يقول له أحبك الله كما أحببتنى الله تعالى ، ومحل ذلك إن كان يحبه الله تعالى كأن كان له صلاح أو صلاحه ، فإن كان لأجل إعطاء مال ومحوه فلا يطيب أخباره بأنه يحبه لأن ذلك يرول بمقطع ذلك ، والمراد بالأخ لشخصى ذكره كان أو أنثى ، ومحلّه إذ كان ذكراً مع ذكر ، وأنثى مع أنثى ، أو ذكر مع أنثى محرم أو زوجة ، فإن كانت أجنبية وأحبها الله تعالى كصلاحها فلا ينبغى إعلامها لما فيه من لينة ، قال العزالي إنما أمر الرجل بإعلامه بحبه لأن يوحى ريادة الحب . فإن الرجل إذا

عروف أن أحاه يحبه أحبه بالطبع لا محالة . ثم إذا عرف أيضًا أنه يحبه إرداد حبه لا محالة ، فلا يزال الحب يرايد بين المحبين ، وذلك مطلوب بالشرع انتهى بحط الأجهوري ، ص ٥٧ .

« إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبتَه بي فإنها من أعظم المصائب » عن ابن عباس .

(قوله من أعظم) لا ينافي هذا أنها أعظم على الأصلاق لأن كون الشيء من أعظم الأمور لا ينافي أنه أعظمها على الإطلاق ، فقد ورد أنه عليه السلام كان من أحسن الناس وجهًا أو خلقًا ، ولا شك أنه أحسنهم على الإطلاق ، وإنما كان ذلك أعظم المصائب لأنه ترتب عليه انقطاع الرحي الذي هو رحمه . ونقص الأنوار التي في قلوب الصحابة بسبب طلعه عليه السلام : ولذا قال أنس ما نقصنا أيدينا من الشراب من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا ، أي لم نجد فيها من النور ما كان النور قبل موته عليه السلام ولا ينافي كون موته عليه السلام أعظم المصائب بسبب انقطاع الخير المذكور ما ياتي أن موته عليه السلام قبل أمته خير لهم لأن الجهة مختلفة . إذ كون موته عليه السلام يترتب عليه انقطاع الخير المذكور لا ينافي أنه يحلعه خير غيره وهو نهى المراتب لأمته ، والاستغفار لهم إذا عرضت عليهم سيئاتهم ، فموته عليه السلام قبل أمته خير بهذا الاعتبار

وكتب العلقمي على قوله من أعظم المصائب أي أعظم من كل مصيبة يضربها المسلم بعده إلى يوم القيامة ، انقطع بموته عليه السلام الوحي ، وماتت النبوة ، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب وغير ذلك ، وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه ١ هـ ص ٦٧

« إذا انتهى أخذكم إلى المجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة » رواه الإمام أحمد وغيره عن أبي هريرة

(قوله ثم إذا قام فليسلم) ويجب عليهم الرد ، أى لأن السلام الأول معناه أمتكم من شرى حال حضوري ، فیس السلام عند الانصراف ليؤمنهم من شره حال غيبته بل أولى ، ويؤخذ من هذا التعليل أنه لوجاء وسلم عليهم ووقف خطة ثم أراد أن يصرف من غير أن يجلس سن له السلام قبل الانصراف وهو كذلك وإجماع المسلمين أن ابتداء السلام سنة وأن رده فرض ، وأقله السلام عليك ، والأفضل السلام عليكم ، وأكمل منه أن يزيد ورحمة الله وبركاته ، ولو قال سلام عليكم أجزاء ويشترط إسماع له برفع الصوت به بحيث يسمع كل منهما واتصال الرد بالابتداء كاتصال الإيجاب بالقبول في العفود ، وإلزام ترك جواب الرد ، فإن كان هناك نيام حفص صوته بحيث لا يتفقدون انتهت عظمى .

وقوله وأقله السلام عليك قال العزيزي لعل مراده إذا سلم على واحد ولا يكفي رد صبي مع وجود مكلف ، والفرق به بين الصلاة على الميت حيث يكتفى بصلاة الصبي مع وجود الرجال ، أن القصد بالصلاة على الميت الدعاء ودعاء الصبي أقرب إلى الإجابة ، والقصد بالسلام الأمان والصبي ليس أهلاً له ، وفي الحديث دلالة على أنه يسلم قبل أن يجلس وقياسه أن يسلم قبل أن يقوم

قلت وفي رواية أبي داود قيد أراد أن يقوم فليسم وهي صريحة
في ذلك فتحمل هذه عليها انتهى بحروفه : ص ٧٤

« إذا دَخَلَ شهرُ رَمَضانَ فَتُخَتُّ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَتُعَلِّقُ أَبْوَابُ
جَهَنَّمَ وَتُسَيَّلُ الشَّيَاطِينُ » رواه إمام أحمد وغيره عن أبي هريرة

(قوله فتحت أبواب الجنة) كناية عن هبوط عيث الرحمة وتوالي
صعود الصاعدة بلا مانع ، وكذلك تغلق أبواب جهنم كناية عن
تنزه أنفس الصوام عن رجس الآثم ، ورمضان مأخوذ من الرمضة
وهو الحر لأنه تحرق فيه الذنوب وتزول عن صائمه .

(قوله ومسلست) أي علت حقيقة ، أو أنه كناية عن عدم تجريئهم
على الصائمين ، فالمراد بالسلسلة لأرهمها ، وأما ما يقع في رمضان
من الوسوسة فهو من النفس ، أو من الرئيس من الشياطين لأنه
مطلق ، وقال الشارح سلسلت أي قيدت وشدت بالأغلال كيلا
توسوس للصائم ، وآية ذلك إمساك أكثر المهكمين في الطبعان عن
الذنوب ، وعسرة العزيرى . ومسلست الشياطين ، أي قيدت وشدت
بالأغلال لئلا توسوس للصائم ، وآية ذلك أي علامته إمساك أكثر
المهكمين في الصبيح عن الذنوب فيه ، وهي نسخة شرح عليها
العلقمي صفحت بدل سلسلت بأصاها المهمة المضمومة بعدها فاء
ثقيلة مكسورة أي شدت بالأصفاة وهي الأغلال .

قال شيخنا . قال القصبي يحتمل أنه يحمل على طهره حقيقة
ويحتمل المجاز . ويكون إشارة إلى كثرة اغواب والعهو ، وأن الشياطين
يقل إغراؤهم وإيدائهم فيصبرون كالمقيد قال : ويحتمل أن يكون

فتح أبواب الجنة عبارة عما يمتحه الله لعباده من الطاعات هي هذا الشهر مما لا يقع في غيره عمومًا كالصيام والقيام ومثل الحيرات والانكشاف عن كثير من المحامات ، وهذه أسباب لدخول الجنة وكذلك تغلق أبواب النار

وقال القرطبي يصح حمده على الحقيقة ، ويكون معناه أن الجنة قد فتحت ورحفت لمن مات في رمضان لفصل هذه العبادة الواقعة فيه وعلقت عنهم أبواب النار فلا يدخلها منهم أحد مات فيه ، وصعدت الشياطين لكلا تفسد على الصائمين فإن قيل قد يرى الشرور والمعاصي تقع في رمضان كثيرًا فلو كانت الشياطين مُصَفَّدة ما وقع شر ، فالجواب من أوجه :

أحدها : إنما نعل عن الصائمين إذا حوِّظ على شروطه ، وروعت دابته أما إذا لم يحافظ عليها فلا يخل عن فاعله الشيطان

الثاني : لو سلم أنها مصفدة عن كل صائم فلا يلزم أن لا يقع شر لأن لوقوعه أسبابًا أخر غير الشياطين ، وهي النفوس الحيثة والعادات القبيحة والشياطين الأنسية .

والثالث أن المراد غالب الشياطين والمردة منهم ، وأما غيرهم فقد لا يصعدون ، والمراد تقليل الشرور ، وذلك موجود في رمضان ، فإن وقوع الشرور والفواحش فيه قليل بالنسبة إلى غيره من الشهور

أما عن آل البيت فيقول الشيخ :

والمراد بآل البيت كل تقى لا خصوص الأشراف لحديث : « آل البيت كل تقى » .

الكرامات

وبعد : فإن كرامات الشيخ كثيرة ، مشهورة ، ذكر بعضها الجبرتي وجمعها الشيخ حسن شمه في كتابه الكبير الذي لم يطبع وذكر بعضها في مختصره .

وأما صاحب كتاب « كرامات الأولياء » فإنه ذكر منها مقداراً مستفيضاً ، ومن هذه الكرامات ما ذكره الشيخ حسن بقوله :

« وأخبرني أستاذي نفسه رضي الله عنه ، أنه متى نام على جوع غالباً يرى في نومه موائد قدمت بين يديه فيأكل وينبسط ، ثم يستيقظ فيجد أثر ذلك الأكل والشبع ، قلت لا يخفى أن هذا من الأطوار الحمدية أشار إليه بقوله عليه السلام « إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني » .

ومن كراماته : أن ظالماً من حكام مصر بلغه أن عند بعض جماعة الشيخ خاتماً عصه ثمين جداً فأرسل إليه يطلبه ، فما وسمه إلا إرساله إليه خرقاً منه ، لكن قال للرسول لرسول به : مر على حضرة أستاذنا احفظناوى وقل له :

إن فلان أرسلني إلى تابعك فلان في شأن حاتم عزيز عليه ، وما هو قد أرسل به إليه ، فمر به الرسول ، وكان جالساً على المائدة فقام واسترج بهلال وصار يقول

ما كان يحتاج يا فلان ويسمى ذلك النظام ظلم فلان ، يكرر ذلك ثم قال :

نطلب من أهل الله أن يصيفوا عليه مصر ضيق الحاتم ، فما لبث ذلك الصائم إلا قليلاً حتى أحلح من مصر ، وضائق عليه حتى لم يجد له من سبل إلى أحد فيها ، فما وسعه إلا الهروب ، فتولى الصرار وتاه في العصاء والقفار .

ومنها أن أحد مرديه تذاكر مع آخر الدنيا ومن الكيمياء الذي يحول المعادن إلى ذهب ، يقول : « وتواعدنا بالاشتعال بذلك ، ثم جئنا إلى الشيخ وجلسا عنده ، فذكر الكيمياء والدنيا ، وقال إن هي إلا هوسات وعزعلات ، ثم أنشد :

ولو قيل للمجنون ليلى ووصفها تريد أم الدين وما هي زواياها
لقال غبار من تراب عالها أحب إلى قسي وشقي بلواها
والشيخ في هذا الشعر يقول طعنا :

إن المحب الصادق هو الذي يكون قلبه معلقاً بالله تعالى لا بغيره .

وفاته

وأما بعد : فقد توفي الشيخ رضى الله عنه ، يوم السبت السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ١١٨١ هـ ، وقد بلغ اثمانين من حياته المباركة ، توفاه الله بعد جهاد طويل فى سبيله ، لم يقصر فيه ولم يفتر .

ودفن يوم الأحد بقرافة المجاورين بالقاهرة .

يقول الشيخ حسن شحه :

« وضريحه مشهور ، بربارته تضاعف الأجور ، رضى الله عنه ، وصعنا به فى الدارين » ثم أما بعد فيقول الله تعالى :

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١)

القاهرة فى ١٩ ذى الحجة سنة ١٣٩٦ هـ

القاهرة فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٧٦ هـ

(١) يونس : ٦٢ - ٦٤

خاتمة

التصوف الإسلامى وحياة أبى الأنوار رضى الله عنه

سئل الشبل رحمه الله .

لم سميت الصوفية بهذا الاسم ؟

فقال ببقيا بقيت عليهم من عوسهم ، ولولا ذلك لما لاقى بهم الأسماء ولا تعلقت بهم ا

إن التصوف فى قبحه العلي هو . ألا تبقى على الإنسان بقية من نفسه ، أى : ألا تبقى عليه بقية من برعات ، أو شهوات ، أو مطامع ، أو تطلعات إلى غير الحق والخير

ومن معام ما يقوله الصوفية فى هذا الصريق

إن السالك يأخذ فى إزالة الرذائل من نفسه شيئا فشيئا ، وتهاقت الرذائل واحدة بعد الأخرى ، ولكن رذيلة تظل معتصمة بقوتها فى النفس ولا يزول بسهولة ، تلك هى رذيلة : « حب الرئاسة » ، وحيما تزول فإن السالك يصبح خالصا لله تعالى ، فإنه وهو يحاهد فى إزالة الرذائل يحاهد فى الوقت نفسه فى التحلى بالمضائل

وهذا الطريق - طريق محو الرذائل والتحلى بالمضائل حتى يصبح

حاصلًا لله تعالى يعبر عنه الجيد حسيما مثل عن تعريف التصوف
فقال :

« التصوف أن يُحبَّكَ الحقُّ عنكَ ويُحييكَ به » .

والحق هو الله تعالى ، يقول سبحانه :

﴿وَيَعْتَمِدُونَ عَلَى اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾^(١)

و « يُميتك عنك » أى يمحو نفسك الأماراة ، يمحو كل ما
فيك من نرجعات الكبرياء ، بل يمحو مجرد الرعية في الإثم
وأما « يحييك به » فيه التحقق بأخلاق الله تعالى .

أخلاق الجمال !

إنه سبحانه في صفاته الجمالية : السلام ، المؤمن ، العفو ،
العدل ، اللطيف ، الكريم ، الحليم ، الرؤوف الرحيم .

فإذ أُماتك لحق عنك ، وأحياك به فقد أصبحت صوفيًا ، بما في
قمة لصوفية ! وإذا وصل الإنسان إلى هذه الحالة فإنه يكون قد
ارتبط بالله تعالى برباط وثيق أو أصبح كما يقول رزيم بن أحمد حسيما
سئل عن تعريف التصوف « التَّصَوُّفُ الاستِمَالُ مع الله على
ما يُريدُه » .

وحينما يسترسل الإنسان مع الله على ما يريد الله تعالى فإنه
لا تكون له رعية إلا فيما أمر الله تعالى به ، أو فيما أباحه ، ولا تكون
له كراهية إلا فيما نهى الله تعالى عنه : نهى وجوب ، أو نهى

(١) التور : ٢٥

كراهية ! وهذا المعنى هو الذى أرادهُ أبو يَريد - رضى الله عنه -
حينما قال معرفًا بالصوفي :

« لَمَّا سِرَ أَحْوَالٌ ، وَلَا خَالٌ لِلْعَارِفِ ، لِأَنَّهُ مُجِبَّتِ رُسُومُهُ ، وَمِيتَ
هُوِيَّتُهُ بِهَوِيَّةٍ غَيْرِهِ ، وَغَيَّرَتْ آثَارُهُ بَأَثَارٍ غَيْرِهِ » !

والعارف هو عرف أبي يَريد هو الصوفي ، و« الغير » الذى
عنه أبو يَريد ، هو الله سبحانه وتعالى ، وقل فى المعنى : « أَمَاتَهُ
الْحَقُّ عَنْهُ وَأَحْيَاهُ بِهِ » أو قل « تَخَلَّى بِأَخْلَاقِ اللَّهِ أَوْ قُلْ إِنَّهُ
اسْتَجَابَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿فَاسْتَجَبْ كَمَا أُمِرْتُ ، وَتَرَى تَابَ مَعَكَ﴾^(١) أو قل فى المعنى
إِنَّهُ اسْتَرَسَّ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا أَرَادَهُ ، إِنْ كُلُّ ذَلِكَ يُمْكِنُ أَنْ
يَكُونَ شَرْحًا لِمَا أَرَادَهُ أَبُو يَريد !

ويتناسق الإمام : « أبو يعقوب » مع كل هذه المعانى فيقول
معرفًا بالتصوف :

« التَّصَوُّفُ حَتَّى تَصْنَحَ مَعَهَا مَعَالِمَ الْإِسْنَانِيَّةِ »

والمعنى لذلك : أن تكون شريعة الإنسان - التى تسيطر عليه ،
فتكون هى القائدة ، وتستولى عليه ، فتكون هى المتصرفة - تصعب
شيئًا شيئًا لتحل محلها الربانية ، إنها تصمحل ! أتدرى ما هى الربانية !
إن الله سبحانه وتعالى يقول مبينًا وموضحًا

﴿مَا كَانَ لِيَشْرَ أَنْ يُوْتِيَهُ اللَّهُ كِتَابَ وَالْحُكْمِ وَالْبُوءَةِ ، ثُمَّ يَقُولَ

(١) هود : ١١٢

لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادَ لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْمَلُونَ الْكِتَابَ ، وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ^(١)

و « الربانيون » هي العرف الإسلامي أغنى العرف الصادي
كما يقول ابن عباس رضي الله عنهما ، هم
« الْفُقَهَاءُ الْمُعَلَّمُونَ » .

ويقول قتادة : « هُمُ الْفُقَهَاءُ الْعُمَمَاءُ الْحَكَمَاءُ » .

ويقول سيدنا علي كرم الله وجهه .

« هُمُ الَّذِينَ يُفَقِّهُونَ النَّاسَ بِنُحْيِكُمَا ، وَيُرَبُّونَهُمْ عَلَيْهَا » وقد
ذكر أسلافنا كثيراً من الأقوال في معنى الربانيين ، منها أيضاً أنهم
« الْعُلَمَاءُ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ » .

ومنها : « إِنَّهُمْ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ عِلْمِ الْبَصِيرَةِ ، وَالْعِلْمِ بِسِيَاسَةِ
النَّاسِ » .

ويقول سيوطي :

« الرِّبَانِيُّ : الْمَسُوبُ إِلَى لَرَبٍّ ، بِمَعْنَى كَوْنِهِ عَالِمًا بِهِ ، وَمُوَاطِّئًا
عَلَى طَاعَتِهِ » .

وبما مات حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنه . قال محمد بن
الحنفية - رضي الله عنه - .

اليوم مات رباني هذه الأمة » |

(١) آل عمران : ٧٩

وتفسير الرابى مهما تعدد واحتلف ، فإن معناه لا يتعارض ، وإنما
ينسجم ويتناسق ، ولا يبقى بعضه بعضاً ، والقرآن الكريم يشير إلى
معنى رابى حينما يقول : ﴿وَمَا كُنْتُمْ تُعْمَلُونَ الْكِتَابَ ، وَمَا كُنْتُمْ
تَدْرُسُونَ﴾ فالرابعى : يعلم الكتاب ويدرسه ، ويعمل به ، يصحح
وثيق الصلة بأعجز الروحى : هو الكتاب وادعى ، ومن آتاه الله
الكتاب والحكم والنبوة لا يأمر الناس أن يتخذوا الملائكة واليس
أرباباً ، ومن يثأتى أن يأمر الناس بالكفر بعد أن يكونوا مسلمين ؟ !
هذه « الرابىة » هى المقصودة من كل التعاريف التى ذكرناها
فما مر وهذه التعاريف تناسق جميعاً لتؤدى فى الدهن معنى كلمة
« إسلام » أو هى فى الحقيقة مشتقة من كلمة إسلام !

ما معنى كلمة « إسلام » ومن هو . « المسلم » .
أما إذا نظرت إلى المعنى اللغوى فإن ابن الأثيرى المتوفى سنة
٣٢٨ هـ يقول فى المعنى اللغوى للكلمة :

« مسلم معناه : اخلص فى عبادته ، من قولهم . سلم الشيء
لفلان ، اخلص له : فالإسلام معناه :
إخلاص الدين والعقيدة لله تعالى » .

هذا هو المعنى لكلمة « مسلم » وهو المعنى الذى حاول فى
إخلاص أن يصل إلى تحقيقه كل لصوفية
وهذا المعنى متناسق تماماً مع المعنى الذى تحدث عنه الرسول
ﷺ حينما سئل :

« ما هو الإسلام ؟ »

فقال « الإسلام أن يسلم لله قلبك ، وأن يسلم العُسلِمون من لِسَانِكَ وَيَدِكَ »

وإسلام القلب هو : الاستسلام الكامل لله تعالى فيما أمر ، والاستسلام الكامل لله تعالى فيما نهى بتعجبه ، ومن هنا كان نتيجة طبيعية بيه عليها كعلامة لصديق إسلام القلب لله تعالى وهي :

أن يسلم المسلمون من لسان من أسلم فنده لله ، ومن يده !
والنتيجة الدقيقة لإسلام القلب لله تعالى - في سعتها وشملها -
تتمثل في قول الله تعالى برسوله ﷺ

﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَاسْكَيْتُ ، وَفَضَّيْتُ وَمَمَّنَّيْتُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ،
لَأَشْرِيَنَّكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١) .

وهذه الشعائر إنما هو الممارسة التي يسير بموجبها كل مسلم ! وإذا
كان الأمر لرسول الله ﷺ ، فإنه صلوات الله وسلامه عليه . الأسوة
واقْدُوة لكل مسلم ، وكل مسلم إذن عليه أن يسعى في جد ليُجْعَلَ
صلاته وسكته ومخياه ومماته لله رب العالمين لا شريك له !

إنه لن يصل إلى تحقيق ذلك كاملاً كما تحقق به الرسول ﷺ ،
ولكن عليه أن يسعى . وأن يستمر في السعي ، ويحتهد في
السعي !

(١) الأنعام ١٦٢ ، ١٦٣

وعن ذلك الأسلوب يقول الإمام الحنيد في حديثه عن التصوف إنه « اعنوة لأصلح فيها » .

أى أنه جهاد لا انقطاع له جهاد فى سبيل الله ، جهاد لله ، جهاد يستمر ما أشرقت الحياة .

وإسلام القلب لله تعالى ، والاسترسال مع الله تعالى على ما يريد الله تعالى :

هو التوحيد الصادق

والشلى حينما سئل عن التصوف قال

« بدؤه معرفته ، ونهايته توحيده » .

والرئيس ابن سينا يتحدث عن جهاد الصوفى فى سيره للقرب من الله سبحانه وتعالى ، ويختم حديثه عن لجهاد بقوله عن غاية الصوفى من جهاده الذى لا يصلح فيه :

« منته إلى الواحد » إن غاية الصوفى هى :

التحقق بالتوحيد ومن هنا قول الصوفية فى تعبيراتهم الحميمة .
« التوحيد واحد ، والطرق إلى الله كنفوس بنى آدم »

التوحيد الذى هو الغاية واحد لا اختلاف فيه ولكن الطرق التى يسلكها المريدون تتعدد وتختلف ، ولا بأس من تعددها واختلافها مادامت تنتهى جميعاً إلى « التوحيد » وللصوفية فى ذلك تمثيل دقيق التمثيل بالدائرة والمركز . دائرة تمتد من محيطها لخطوط ، هذه الخطوط حينما تبتدئ من المحيط متاعدة قليلاً ، ولكنها تتقارب

كلما قربت من المركز حتى إذا ما وصلت إليه التقت وانحدت في
نقطة المركز ، والمركز هو « التوحيد » والخطوط هي الطرق ،
ومن هذا كله تبين أن :

التصوف هو : الإسلام في صورته المثلى ، وأنه مذهب واحد
هو « التوحيد » .

وبيانا لهذا المذهب الواحد كانت حياة أبي الأنوار شيخ الإسلام :
الحفنى ، كانت حياته سلوكاً بياناً لهذا المذهب ، وكانت حياته علماً
بياناً لهذا المذهب .

ويمكن أن نقول : كانت حياته تعبيراً عن إسلام القلب لله رضى
الله عنه ونفعنا به .

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
العلاقة بين الصوفية والسلفية	٥
أبو الأنوار شمس الدين الحفنى	١٥
رسالة فى فضل الذكر والتسبيح والتهليل	١١٤
الحفنى شيخاً للأزهر	١٣٥
الكرامات	١٨٤
وفاته	١٨٦
خاتمة التصوف الإسلامى وحياة أبى الأنوار	١٨٧

١٩٩٦/٥٥٨٩	رقم الإيداع
ISBN 977-02-5278-6	الترقيم الدول

١ / ٩٣ / ٩٧

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.) ١٩٩٧م



يعدُّ الإمام الأكبر فضيلة الدكتور عبد الحليم
محمود صاحب ورائد مدرسة الفكر الإسلامي
والتصوف في العصر الحديث ، ولقب بأبي
التصوف في العصر الراهن ، فقد أثرى المكتبة
العربية بأبحاث الكتب بين تحقيق وتأليف
وترجمة ، فمنها دراساته القيمة عن الإمام الغزالي
وكتابه ، المنقذ من الضلال ، ، و ، دلائل
النبوة ، ، و ، القرآن في شهر القرآن ، إلى
جانب ما كتبه عن رواد التصوف على مر العصور
الإسلامية المختلفة .

والإمام الأكبر فضيلة الدكتور عبد الحليم
محمود له عمق وغزارة الآراء الفقهية ودقة
الاجتهادات مما جعله يكسب صفوف المعارضين
قبل المؤيدين ، إلى جانب اللباقة والدراية الكاملة
في عرض أي موضوع أو مسألة تتعلق بأمر
الدين ، وأيضاً يمتاز بقوة ورصانة الأسلوب
والعبارات ، مما يدل على المهارة الفائقة والملكة
اللغوية فلهذا اكتسب هذا العالم الجليل احترام
كل الفرق والمذاهب الإسلامية في شتى بقاع
العالم ، وسيبقى هذا العالم وتراثه في قلوبنا على
مر العصور .

تقديم الأستاذ : محمد عبد الحليم محمود

صا والمعارف

٣١٩٣٠/٠١

